أثر مكة العلمي على بلاد اليمن

خلال العصرين الأيوبي والمملوكي

(٥٧٠ - ٩٢٣هـ / ١١٧٤ - ١٥١٧م)

الدكتور عبدالعزيز ابن راشد السنيدي*

*بكالوريوس في التاريخ من كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم، فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٤هـ.
- ماجستير في التاريخ من الكلية نفسها عام ١٤١٠هـ.
- دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية من الجامعة نفسها عام ١٤١٨هـ.
- يعمل الآن أستاذاً مساعداً بقسم التاريخ في كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم.

المقدمة :

لم تكن مكة قبلة روحية فقط للمسلمين وإنما تعدت ذلك لتصبح ملتقى علمياً وفكرياً يجتمع فيه علماء الأمة ، وهدفاً يتجه إليه طلبة العلم من الأمصار الإسلامية ، ومركز إشعاع أضاء - بما انتقل منه من العلوم والمعارف - الكثير من الأصقاع الإسلامية . وبالرغم من أن الحركة العلمية في مكة لم تتوقف على مدى التاريخ الإسلامي [1]؛ إلا أنها تعرضت ولأسباب مختلفة في بعض الفترات التاريخية للتقلص في ميادينها المتنوعة .. في حين تطورت هذه الحياة وازدهرت جوانبها في فترات أخرى . وعندما ننظر للحياة العلمية في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي نلحظ وجود تحركات علمية نشطة، صاحبت هذه الفترة التاريخية ، وسارت

---

(١) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان . **الحرم الشريف الجامع والجامعة** - مكة المكرمة : نادي مكة الثقافي الأدبي ، ١٤١٧هـ ، ص٧ - ٩ .

معها في نمو مطرد، حتى بلغت مكانة مميزة من الرقي والتطور؛ إبان القرنين الثامن والتاسع الهجريين من هذه الحقبة .

من جانب آخر فقد طرأ الكثير من التغيرات على الحياة العلمية في بلاد اليمن منذ امتداد النفوذ الأيوبي إليها ؛ فزاد الإقبال على العلم ، وكثرت الرحلات العلمية في سبيل طلبه ، سيما إلى مكة ، كما استقبلت اليمن في الوقت نفسه الكثير من العلماء وطلبة العلم من الأمصار الإسلامية ، في ظل التشجيع المتواصل من قبل عدد من الدول المتعاقبة على حكم بلاد اليمن آنذاك .

ومن خلال المنطلقات السابقة، فقد رأيت أن أبيّن جانباً من ريادة مكة الثقافية، وأثرها العلمي على بقية الأمصار الإسلامية ، وذلك من خلال تخصيص الحديث عن أثر مكة العلمي على بلاد اليمن؛ إبان خضوع مكة للحكمين الأيوبي والمملوكي (٥٧٠ ـ ٩٢٣هـ) ؛ محاولاً تتبع الموضوع من خلال إلقاء الضوء عليه عبر ثلاثة محاور: المحور الأول ، أسباب تأثير مكة العلمي على بلاد اليمن . والمحور الثاني: رحلات اليمنيين إلى مكة وآثارها على الحياة العلمية في بلاد اليمن . أما المحور الثالث: فسوف يتناول وفود طلبة العلم من مكة إلى بلاد اليمن وآثارهم العلمية فيها .

أسباب تأثير مكة الثقافي على بلاد اليمن :

إن النظرة الفاحصة والقراءة المتعمقة المبنية على التحليل والمقارنة في الأوضاع السياسية والحضارية في مكة وبلاد اليمن بصفة شاملة، ترشدنا إلى وجود الكثير من الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي أسهمت في زيادة التواصل العلمي بين هذين القطرين خلال العصرين الأيوبي والمملوكي . وقد عمقت هذه الأسباب تأثير مكة في جوانب الحياة العلمية المختلفة في بلاد اليمن خلال هذه

الحقبة الزمنية ، كما تشعبت إلى محاور عدة فارتبط بعضها بالأوضاع في مكة . في حين تعلق بعضها الآخر باليمن ، فيما جاءت أسباب ثالثة مشتركة بين القطرين. وسوف أحاول جاهداً تقصي هذه الأسباب المباشرة وغير المباشرة، مع بيان تأثيرها بصورة مجملة ومختصرة .

١ - الأسباب الخاصة بمكة .

لقد حتمت مكانة مكة الدينية وقدسيتها احتضانها سنوياً أعداداً كبيرة من أبناء الأمة الإسلامية ، وبالتالي انفتاحها على آفاق الفكر الإسلامي الواسعة بمختلف مشاربها وتنوع ثقافاتها وتعدد مصادرها . وقد هيأت هذه الظروف في مكة أجواء ثقافية وفرصاً علمية لا تتوافر في غيرها ، وكان أن أدرك أبناء اليمن كغيرهم من أبناء الأمة الإسلامية هذه الميزة لمكة ، كما وعوا أثر الرحلة العلمية الفاعل في تبلور الثقافات ، واتساع المدارك والمفاهيم ، وتلقيح الأفكار وصقلها[١]؛ فتشجعوا للخروج إلى مكة والبقاء فيها فترة من الزمن ؛ للنهل من هذا المورد العلمي الروي ، والارتشاف من هذه الثقافات المختلفة . ومنهم من اكتفى لتحقيق هذا الغرض باستغلال فرصة الرحلة لتأدية فريضة الحج، ومقابلة العلماء المكيين أو المجاورين في مكة أو الوافدين للحج[٢].

وقد بلغ عدد من أبناء مكة خلال الفترة التاريخية المعنية بالدراسة مكانة

---

(١) يقول ابن الصلاح موضحاً أهمية الرحلة العلمية : «وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده ، فليرحل إلى غيره» . (**مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث** - بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ص١٢٤) .

(٢) سوف نتحدث فيما بعد عن رحلات الطلاب اليمنيين إلى مكة بتوسع أكثر .

علمية مرموقة ، بعد أن برزوا في علوم ومعارف عدة ، وعقدوا الدروس العلمية المتنوعة في مكة ، وكانوا مقصداً للطلاب من أنحاء شتى من العالم الإسلامي .. ولعل من يطالع كتب تراجم العلماء خلال هذه الحقبة التاريخية التي نتحدث عنها، وبصفة خاصة المصادر التي عنيت بتراجم المكيين مثل : العقد الثمين للفاسي ، أو الدر الكمين لنجم الدين ابن فهد يدرك دون عناء ما وصل إليه عدد كبير من أبناء مكة من منزلة علمية أهلتهم للتصدر في كثير من العلوم . وفي ظاهرة عناية عدد من الأسر المكية آنذاك بالعلم[١] دليل مؤيد لكثرة عناية أهل مكة بالعلم وتميزهم فيه؛ فضلاً عن تطور الحياة العلمية فيها . من جانب آخر فإن الجهود العلمية في مكة حينذاك لم تقتصر على أبنائها فقط، بل شاركهم عدد كبير من علماء المسلمين المبرزين الذين استوطنوا مكة أو جاوروا فيها فترة من الزمن ، سيما في العصرين الأيوبي والمملوكي اللذين شهدا تنامياً ملحوظاً في أعدد النزلاء والمجاورين[٢]. وكان

---

(١) ومن أبرز هذه الأسر المكية : الطبريون ، بنو فهد ، بنو ظهيرة ، النويريون ، القسطلانيون، الفاسيون ، بنو عبد المعطي ، بنو المرشدي ، بنو الضياء ، وغيرهم .

(٢) ومن هؤلاء النزلاء والمجاورين الذين قصدهم الطلاب في مكة وتتلمذوا على أيديهم آنذاك: الإمام الحافظ المحدث مبارك بن علي بن الحسين البغدادي المعروف بابن الطباخ (ت٥٧٥هـ)، والفقيه المحدث المقرئ عمر بن عبد المجيد بن عمر بن حسين العبدري المعروف بالميانشي (ت٥٨٥هـ) ، ومسند العراق ومحدثه وفقيهه عبد الوهاب بن علي بن علي بن عبيد الله بن سكينة (ت٦٠٧هـ) ، والفقيه المحدث المفتي محمد بن إسماعيل بن علي بن أبي الصيف اليمني (ت٦٠٩هـ)، والإمام المقرئ زاهر بن رستم بن أبي الرجاء الأصبهاني (ت٦٠٩هـ) ، والإمام المحدث المقرئ نصر بن محمد بن علي الهمداني النهاوندي البغدادي المعروف بالحصري (ت٦١٩هـ)، والإمام الفقيه المحدث اللغوي الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العمري المعروف بالرضي الصغاني (ت٦٥٠هـ) ، والإمام الموسوعي محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي المرسي السلمي (ت٦٥٥هـ) ، وشيخ الحجاز في وقته الإمام المحدث عبد الصمد بن =

أبناء اليمن ممن وعى مكانة هؤلاء العلماء سواء كانوا من المكيين أو النزلاء والمجاورين ، وسعة آفقهم العلمي ، فرحلوا إلى مكة طلباً للفوز بالرواية عنهم ورغبة في التتلمذ عليهم[1] ، في وقت كانت الرحلة العلمية إلى مكة بمثابة وسام علمي يضاعف من مكانة العالم ويميزه عن غيره ممن لم يرحل إليها في سبيل طلب العلم[2].

وكان لوجود الكثير من المدارس التي عُنيت ببعض العلوم والتخصصات في مكة ، والتي سعى لإقامتها الكثير من السلاطين والأمراء الموسرين إبان العصرين الأيوبي والمملوكي ، الأثر القوي في تشجيع واستقطاب الكثير من العلماء وطلاب العلم الذين قدموا إلى مكة طلباً للعلم ، خصوصاً وأن واقفي هذه المدارس قد وفروا من الأوقاف والمخصصات والخدمات ما يساعد مرتاديها من المدرسين والطلاب ويحثهم على التفرغ للعلم وطلبه[3].

= عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (ت٦٨٦هـ) ، والإمام الحافظ محمد بن يوسف بن موسى الأزدي الشهير بابن مسدي (ت٦٦٣هـ) ، والعالم البارز عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكناني (ت٧٦٧هـ) ، والمؤرخ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ) ، والإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، والإمام المحدث المسند الحافظ شمس الدين عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، وغيرهم الكثير .

(١) هذا ما سوف نراه بجلاء عند الحديث عن رحلات أبناء اليمن إلى مكة .

(٢) إبراهيم القادري بوتشيش . **العلماء المجاورون بمكة** : نموذج للملتقيات العلمية بمكة عاصمة الثقافة الإسلامية في العصر الوسيط . بحث قدم ضمن ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ . وطبعت أبحاث الندوة بعنوان : مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية (بحوث ودراسات): إعداد أبو بكر أحمد باقادر -- ط١ -- الرياض : ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ص٣٥٥ .

(٣) الفاسي. **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**؛ تحقيق، عمر عبد السلام تدمري -- ط١-- =

كما تبارى محبو الخير من مختلف الأمصار إبان الحقبة التاريخية التي نتحدث عنها على إقامة الكثير من الأربطة في أنحاء مختلفة من أزقة مكة وأحيائها[1]. وكانت هذه الأربطة بما خصص لها من مساكن ، وما عُيّن لها من مصروفات ثرّة، خير مشجع لمجئ بعض العلماء والطلاب إلى مكة وبقائهم فيها ، خصوصاً منهم ذوي الدخل المادي المتواضع[2].

وقد شهدت الحقبة التي نتحدث عنها انتشار الكثير من الحلق والدروس العلمية في أنحاء متفرقة من المسجد الحرام ، كما تنوعت تخصصات هذه الدروس لتشمل معظم العلوم التي كانت محل عناية طلبة العلم آنذاك[3]. من جانب آخر فقد انتشرت في المسجد الحرام خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين ظاهرة الدروس العلمية الخاصة التي قررها بعض السلاطين والأمراء وبعض الموسرين ، و عينوا عليها؛ لضمان استمرارها مشرفين ، كما خصصوا لها الأوقاف الكافية للمدرسين والطلاب ، وقد بلغ عدد هذه الدروس خلال الحقبة المذكورة آنفاً حوالي خمسة

= بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١ ، ص٥٢٣-٥٢٧ . فواز بن علي الدهاس. المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، **مجلة الجمعية التاريخية السعودية**، ع٢، س١ ، ربيع الأول ١٤٢١هـ ، ص٥٥-٧٥ . خالد عبد المحسن الجابري. **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي** .- جدة : مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ١٤٢٦هـ ، ص٣٦٨ - ٤١٦ .

(١) الفاسي . **شفاء الغرام** ، ج١ ، ص٥٢٧-٥٣٨ . خالد عبد المحسن الجابري . **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي** ، ص٤١٧ - ٤٤٢ .

(٢) الفاسي . **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** ؛ تحقيق فؤاد سيد .- ط٢.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م . ج٢، ص٢٣٠، ج٥، ص٢٠٣، ٤٩٤، ٥٢١-٥٢٢ ، ج٦، ص٣٦٢-٣٦٣.

(٣) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج١ ، ص٢٩٦ ، ٣٣٥ ، ج٢ ، ص١٩ ، ٦٥ ، ٢٠١ ، ج٣ ، ص٥٦ ، ١١٦ ، ١٦٦ ، ج٥ ، ص١١٦ ، ١٩٧ ، ج٧ ، ص٣٠٧ ، ٤٧٣ . ابن تغري بردي . **المنهل الصافي المستوفي** =

عشر درساً في تخصصات مختلفة(1). ولعلنا لا نغالي إذا قلنا : إن المسجد الحرام قد أضحى بما يقام فيه من هذه الدروس العامة والخاصة بمثابة جامعة استقطبت فطاحل العلماء المسلمين للتدريس فيها ، وجذبت الطلاب من مختلف الأقطار ، ومنهم أبناء اليمن ؛ للنهل من علومهم .

بيد أن هناك معيناً ثقافياً آخر كان بمثابة مورد مصفى استفاد منه العلماء وطلبة العلم القادمون إلى مكة من مختلف الأجناس ، وكان بلا شك مشجعاً للوفود إلى مكة حينذاك ، ألا وهو تلك المكتبات العامة التي حوت الكثير من الكتب النادرة

= **بعد الوافي** : تحقيق محمد محمد أمين ٠- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م ، ج٢ ، ص١٢٤ ـ ١٢٥ ، ج٥ ، ص١٧٠ ـ ١٧١ . نجم الدين ابن فهد. **معجم الشيوخ**؛ تحقيق وتقديم محمد الزاهي : مراجعة حمد الجاسر ٠- الرياض : دار اليمامة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص٦٨ ، ١١٠ ، ١٢٣ . السخاوي . **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ٠- بيروت : دار مكتبة الحياة ، (د . ت) ، ج١ ، ص٩٢ - ٩٣ ، ٣٥٨ ، ج٤ ، ص١٥٠ ، ج٧ ، ص٨ ، ٢٤ ـ ٢٥ ، ج١٠ ، ص٤٨ .

(1) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج١ ، ص٣٠١ ، ج٢ ، ٢٩١ ـ ٢٩٢ ، ٣٥٠ ، ج٣ ، ص١٥٠ ، ١٦٩ ، ٢٦٠، ج٥ ، ص١٠ ، ج٦ ، ص٥٤ ـ ٥٦ ، ١٣٠ ، ٢٣٧ ، ج٨ ، ص٨٨ . **شفاء الغرام** ، ج١ ، ص٥٢٣ . ابن تغري بردي . **المنهل الصافي** ، ج٢ ، ص١٨٢ . نجم الدين ابن فهد . **إتحاف الورى بأخبار أم القرى** ؛ تحقيق فهيم محمد شلتوت ٠- ط١ ٠- مكة المكرمة : مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م ، ج٣، ص٢٣٤، ٢٩٦، ٣٦٨. **الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**؛ تحقيق عبد الملك بن عبد الله ابن دهيش٠- ط١ ٠- بيروت: دار خضر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج١ ، ص١٢٣، ٣٠٢، ٣٠٥، ٥١٧، ٥٥٥، ج٢، ص٨٦٩، ٩١٩ ، ٩٤٩ -٩٥٠ . السخاوي. **الضوء اللامع**، ج٢، ص١٧٩، ج٣ ، ص٧٣، ج٤ ، ص٢٨٤، ج٥ ، ص٩٣، ج٧ ، ص٢١٣ ، ج٩، ٤٣ ، ج١١، ص١٣٢، ١٣٨ . ابن العماد الحنبلي. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** : تحقيق لجنة إحياء التراث العربي بدار الآفاق الجديدة٠- بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة ، (د . ت) ، ج٧ ، ص١٠٤ - ١٠٥ . خالد الجابري . **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي** ، ص٣٥٥ - ٣٦٧ .

والمفيدة التي انتشرت في أماكن مختلفة من مكة : فكان في المسجد الحرام آنذاك مجموعة من الكتب التي أوقفت عليه من مصادر متعددة[١]. كما كان للمدارس المنتشرة في مكة آنذاك نصيب وافر من الكتب الموقوفة ، بعد أن عمد مؤسسوها إلى تخصيص خزائن للكتب فيها؛ يستفيد منها منتسبو المدرسة وغيرهم[٢]، ومن هذه الكتب الموقوفة بالمدارس ما كان أمثاله نادر الوجود[٣]. أما الأربطة فكانت أكثر حظاً من غيرها، فنالت نصيبها من الكتب عن طريق مؤسسيها[٤]، كما حظيت بتزويد بعض المحسنين من الموسرين والنساخ وغيرهم ممن دأبوا على مدها بالكثير من الكتب النافعة[٥].

(١) ابن بطوطة . **رحلة ابن بطوطة** .- بيروت : دار بيروت ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص١٣٨ . الفاسي. **شفاء الغرام** ، ج٢ ، ص٤٢٥ . **العقد الثمين** ، ج٢ ، ص٧٤ ؛ نجم الدين ابن فهد . **إتحاف الورى**، ج٢ ، ص٤٨٧ ، ج٣ ، ص٢١٣-٢١٤ ؛ عبد العزيز السنيدي . **الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي** .- ط١ .- الطائف : نادي الطائف الأدبي ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ص١٠٤ - ١٠٨ .

(٢) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٣ ، ص٣٢٤ ـ ٣٢٥ . نجم الدين ابن فهد . **إتحاف الورى** ، ج٣ ، ص٦٠ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٦ ، ص٢٠٧ . **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**؛ تحقيق فرانز روزنثال ترجم التعليقات المقدمة، صالح أحمد العلي .- بيروت : دار الكتب العلمية، (د . ت) ، ص٢٩٠ . السنجاري. **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**؛ تحقيق جميل عبد الله المصري وآخرين .- ط١ .- **مكة المكرمة** : مركز إحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ج٣ ، ص٤٨٣ .

(٣) السخاوي . **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** ، ص٢٩٠ .

(٤) الفاسي . **شفاء الغرام** ، ج١ ، ص٥٢٨ . **العقد الثمين** ، ج٦ ، ص٢٧٦ .

(٥) الفاسي. **العقد الثمين** ج٢، ص٢٤٦، ج٤، ص٣٨٥، ج٥، ١١٦، ج٦، ص٢٣١، ج٧ ، ص١٣٧ . المقريزي. **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**؛ تحقيق محمود الحليلي .- ط١ .- بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، ج٣، ص٢٦٣ . نجم الدين ابن فهد. **الدر الكمين**، ج١، ص٢٤٦، ج٢، ص٨٠١ ، ٨٧٧ . السخاوي. **الضوء اللامع**، ج٣، ص٣١٢، ج٦، ص٣١٣ .

هذا بالإضافة إلى بعض المكتبات الخاصة التي تزايدت في مكة خلال حقبة الدراسة تزايداً ملحوظاً ، حيث تحفل المصادر بذكر الكثير من العلماء المكيين والنزلاء والمجاورين الذي تكونت لديهم مكتبات ، توافرت لهم إما بالنسخ ، أو الشراء من أسواق الكتب(١). وكان الكثير من العلماء قد فتح المجال للطلاب للاستفادة منها عن طريق القراءة أو الإعارة(٢)، بل أن الإمام تقي الدين الفاسي قد وقف مكتبته الخاصة ، وقصر ذلك على الطلاب الوافدين فقط دون المكيين(٣).

وبالرغم مما انتاب الأوضاع في مكة من تخلخل في الأمن خلال بعض الفترات التاريخية التي عُنيت بها الدراسة؛ إلا أن الاستقرار الأمني قد غلب في أكثر الأوقات ، وذلك في ظل زيادة النفوذ العباسي في مكة خلال القرن السادس الهجري بعد سقوط الدولة الفاطمية (العبيدية) سنة ٥٦٧هـ ، حيث هيأ ذلك للعباسيين فرصة أكبر لبسط سلطتهم على مكة(٤). وكذلك حرص السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٧٠- ٥٨٩هـ) . بعد قيام دولته سنة ٥٧٠هـ على توفير الأمن والراحة

---

(١) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ، انظر : عبد العزيز السنيدي . **الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة خلال العصر المملوكي**، ص١١٤ - ١٢٥ .

(٢) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج١ ، ص٤٢٩ - ٤٣٢ . تقي الدين ابن فهد . **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** «ملحق بذيل تذكرة الحفاظ للذهبي» ٠- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، (د . ت) ، ص٢٧٤-٢٧٥ . نجم الدين ابن فهد . **الدر الكمين** ، ج٢ ، ص١٢٤ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٩ ، ص٢٨٢ .

(٣) نجم الدين ابن فهد . **الدر الكمين** ، ج١ ، ص٩ .

(٤) ابن جبير . **الرحلة** ، بيروت : دار بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص٧٣، ٨٠ . الفاسي . **شفاء الغرام** ، ج٢ ، ص٣١٤ - ٣١٥ ، ٣٦٨-٣٦٩ . نجم الدين ابن فهد . **إتحاف الورى**، ج٢ ، ص٥٣٥ وما بعدها . السنجاري . **منائح الكرم** ، ج٢ ، ص٢٥٦-٢٦٦ .

للقاطنين في الحجاز والقادمين إليه من المجاورين والتجار وغيرهم .. مع الإبقاء على مكانة العباسيين الروحية في بلاد الحجاز[١]؛ وفضلا عن السلاطين المماليك الذين أولوا ـ عقب قيام حكمهم في مصر سنة ٦٤٨هـ ـ بلاد الحجاز بصفة عامة وإمارة مكة بصفة خاصة كل الاهتمام والعناية ، فحرصوا إبان عصر دولتهم الأولى "المماليك البحرية " على إقرار الأمن في المنطقة باستعمال أساليب الترغيب والترهيب مع أشرافه، ونجحوا بالرغم من ظهور بعض المخالفات والمشكلات في إحكام القبضة على الأوضاع في مكة في كثير من الأوقات[٢]. ولم تلبث مكة خلال حكم المماليك الجراكسة " دولة المماليك الثانية " أن شهدت نوعاً من الاستقرار والهدوء ، خاصة عندما حُولت بلاد الحجاز إلى نيابة مملوكية سنة ٨١١هـ ، وأصبح شريف مكة مجرد نائب للسلطة المملوكية في الحجاز[٣]، ثم عمد حكام المماليك سنة ٨٢٧هـ إلى وضع قوة دائمة ترابط في مكة لإقرار الأوضاع فيها[٤]. ولما تولى حكم مكة الشريف محمد بن بركات (٨٥٩-٩٠٣هـ) استقرت الأوضاع استقراراً لفت أنظار بعض المؤرخين حتى قال السخاوي عن محمد بن بركات[٥]: " ارتفع ذكره بين الصغير

---

(١) ابن جبير. **الرحلة**، ص٣٠-٣١ ، ٥٤-٥٥ . نجم الدين بن فهد. **إتحاف الورى**، ج٢ ، ص٥٣٨-٥٣٩؛ السنجاري، **منائح الكرم**، ج٢، ص٢٥٨-٢٥٩ .

(٢) انظر: نجم الدين ابن فهد. **إتحاف الورى**، ج٣، ص١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٥١ ، ١٥٢ . العصامي. **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**. - القاهرة: المطبعة السلفية ، (د. ت)، ج٤، ص٢٢٨- ٢٢٩؛ ريتشارد مورتيل. **الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي**. - ط١ . - الرياض : عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص٥٤ وما بعدها.

(٣) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٤ ، ص١٠٥ .

(٤) ريتشارد مورتيل . **الأحوال السياسية والاقتصادية** ، ص١٣٨ .

(٥) **الضوء اللامع** ، ج٧ ، ص١٥٠ .

والكبير. واندفع به المكروه عن أهل الحرمين ومن إليها يسير. أَمَّنَ الله بفضله وعدله في أيامه الطرقات". ولا ريب أن لهذه التغيرات الإيجابية في الأوضاع الأمنية أثرها على جوانب الحياة المختلفة في مكة، حيث ساعد استقرار الأوضاع في الحجاز على استتباب الأمن على طرق الحج والتجارة، فكثر القادمون إلى مكة من الحجاج والتجار بعد أن أمنوا على أنفسهم وأموالهم، وزاد عدد النزلاء والمجاورين في مكة زيادة واضحة ، سيما من العلماء وطلبة العلم .

ومن الأسباب التي فعّلت دور مكة العلمي بما جذبته من العلماء واستقطبته من طلبة العلم فيها: تلك الأعمال الخيرية المتعددة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، سواء كان ذلك من النفقات والصدقات المتزايدة التي تدفع في وجوه الخير المتعددة في مكة من قبل الخلفاء والسلاطين والأمراء و التجار والموسرين[1]، أو ما قام فيها من المنشآت الخيرية والاجتماعية التي أثرت بلا شك في تشجيع العلماء والطلاب على حدٍ سواء على المجيء لمكة[2].

ومما دفع بعض أبناء اليمن وشجعهم للوفود إلى مكة ما حظوا به من مكانة طيبة عند حكام مكة من الأشراف : فكانت على سبيل المثال لمحمد بن أبي بكر بن

---

(١) ابن جبير . **الرحلة** ، ص١٦٢-١٦٤ . ابن كثير . **البداية والنهاية** ، ج١٢ ، ص٣٢٠ ، ج١٣ ، ص٨٩، ١٤٧ . الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٢ ، ص٩٤ ، ج٤ ، ص٣١٧-٣١٨ ، ج٥ ، ص١٢ ، ٣٩ ، ج٦ ، ص١٨١-١٨٢ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٦ ، ص٢٦ . الجزيري . **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**؛ تحقيق حمد الجاسر -- ط١ -- الرياض : دار اليمامة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ج١ ، ص٥٩٥ ، ٥٩٧ ، ٦٠١ .

(٢) ابن جبير. **الرحلة** ، ص١٠٢-١٠٣ . ابن كثير. **البداية والنهاية** ؛ تحقيق أحمد أبو ملحم ورفاقه-- ط١ -- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ج١٣ ، ص١٤٧ . الجزيري. **الدرر الفرائد المنظمة** ، ج١، ص٥٧٧ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٥٩٣ ، ٥٩٦ .

عيسى الأشعري عند الشريف أبي نمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة (٦٥٢ - ٧٠١هـ) حظوة[١]. كما كان الشريف حسن بن عجلان (٧٩٧ - ٨٢٩هـ) يجل علي بن محمد بن يحيى البعداني (ت٨٣١هـ) ويعظمه ، حتى قال عنه هذا الشريف : «ما رأيت في المشايخ أعرف بأحوال الطوائف على اختلاف طبقاتهم منه»[٢]. وكانت لعمر بن محمد بن مسعود الشاوري (ت٨٢٧هـ)، عند هذا الشريف حسن نفسه مكانة خاصة، فكان يكثر من زيارته ، ويرجع إليه في بعض ما يقوله[٣].

٢- الأسباب الخاصة باليمن :

منذ بداية ظهور الدويلات المستقلة في بلاد اليمن في أوائل القرن الثالث الهجري والمنطقة لم تنعم بالهدوء والاستقرار في ظل تزايد التنافس السياسي وتفاقم الصراع المذهبي[٤] بين عدد من القوى التي توازعت حكم بلاد اليمن ، وقد بقيت تلك سمة بارزة ميزت الأوضاع في اليمن حتى جاء تورانشاه إليه بعد أن أرسله

---

(١) الجندي. **السلوك في طبقات العلماء والملوك**؛ تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي.- صنعاء: وزارة الإعلام والثقافة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ج٢ ، ص٥٢ . الفاسي. **العقد الثمين**. ج٦، ص٣٦٠ - ٣٦١ .

(٢) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٦ ، ص٢٦-٢٧ .

(٣) الفاسي. **العقد الثمين**، ج٦ ، ص٣٦٠ - ٣٦١. السخاوي. **الضوء اللامع** ، ج٦ ، ص١٣٢؛ **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**؛ عني بنشره أسعد طرابزوني الحسيني، ١٣٩٩ - ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م ، ج٢ ، ص٣٥٥ .

(٤) انتشرت في بلاد اليمن بعض المذاهب الدينية التي ناصرتها بعض القوى التي قامت في المنطقة، ومن هذه المذاهب - بالإضافة للمذهب السني - المذهب الزيدي والمذهب الإسماعيلي. لمزيد من المعلومات حول الموضوع ، انظر ؛ أيمن فؤاد سيد. **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري** .- ط١ .- الدار المصرية اللبنانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

أخوه صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٩هـ للقضاء على الدويلات المنتشرة في أصقاعه المختلفة ، وقد نجحت قوات تورانشاه في دخول اليمن وتوحيد البلاد تحت الحكم الأيوبي[١]، واستمر ذلك حتى نهاية حكم الأيوبيين في اليمن سنة ٦٢٦هـ . ثم بقيت بلاد اليمن وحدة سياسية مترابطة في العصرين الرسولي (٦٢٦ ـ ٨٥٨هـ) والطاهري (٨٥٨ ـ ٩٤٥هـ) ، ما عدا منطقة صعدة التي خضعت في بعض الفترات التاريخية لدولة الأئمة الزيدية . وقد منح هذا التلاحم السياسي لليمن نوعاً من الهدوء والاستقرار ، مما هيأ لمناحي الحياة الحضارية المتخلفة في البلاد الازدهار ، وكفل الأمن على الطرق ، فتوافرت سبل التنقل براحة واطمئنان .

من جانب آخر فإن السلطات التي تعاقبت على حكم بلاد اليمن خلال حقبة الدراسة لم تأل جهداً في تشجيع الحياة العلمية وإنمائها ، وتوفير السبل الكفيلة براحة العلماء والمتعلمين ، وتهيأت الأجواء العلمية المناسبة لهم .. وفي سبيل ذلك أقاموا الكثير من مدارس العلم في البلاد[٢]، وعُنوا بحلق التدريس في المساجد ،

---

(١) ومن هذه الدويلات التي قضى عليها تورانشاه أو أخضعها لسلطة الأيوبيين . دولة بني مهدي ، دولة بني زريع ، دولة بني حاتم، ودولة الأئمة الزيدية. لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، انظر (ابن الأثير . **الكامل في التاريخ** ‹- ط٤ ‹- بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٩ ، ص١٢٢ـ١٢٣ . محمد علي مسفر عسيري. **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي** ‹- ط١ ‹- جدة : دار المدني ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص٣٨ وما بعدها). ومن الدويلات التي كانت قائمة قبلها . دولة بني زياد ودولة بني يعفر ودولة الأئمة الإسماعيلية ودولة بني نجاح والدولة الصليحية . لمزيد من المعلومات عن هذه الدويلات ، انظر (عمارة اليمني . **المفيد في أخبار صنعاء وزبيد**. عبد الرحمن بن الديبع. **قرة العيون في أخبار اليمن الميمون** . عصام الدين عبد الرؤوف الفقي . **اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول**) .

(٢) انظر حول هذه الأوقاف ؛ الوقفية الغسانية، مخطوط بدائرة الأوقاف بمدينة تعز، رقم (٦). =

ودعم هذه المرافق بالأوقاف الكافية[1]، كما شجعوا حركة التأليف في بلادهم[2]. ولا ريب أن لهذه السياسة التي اتبعتها السلطات اليمنية حينذاك الأثر في تطور الحركة العلمية في البلاد، وتزايد أعداد المقبلين على طلب العلم من أبنائها، كما أنها ولّدت لدى هؤلاء الطلاب رغبة جامحة في رفع رصيدهم المعرفي، فوجدوا في مكة آنذاك الأجواء المناسبة ؛ لتحقيق رغباتهم وتطلعاتهم العلمية المختلفة.

كما أدى إنشاء المدارس بكثرة في اليمن خلال حقبة الدراسة ، وتخصيص الأوقاف الطائلة؛ لها لتقوم بدورها على الوجه المطلوب ؛ فضلاً عن فتح حلق في عدد من المساجد ودعمها بالأموال الكافية للطلاب والمدرسين كما أشرنا - إلى مزيد من الطلب على المدرسين ذوي الكفاية المؤهلين؛ لتولي مهمة التدريس فيها ، فكان ذلك دافعاً للرحلة إلى طلب العلم ، والتتلمذ على علماء مشهورين ، والحصول منهم على إجازات علمية تؤهل للتدريس في المدارس والمساجد المنتشرة في بلاد اليمن .

وللراحل في طلب العلم ميزة عن غيره من الأقران الذين لم ينهجوا طريقه ، حيث تقوم السلطات بعد رجوعه من الرحلة بتعيينه في بعض المناصب كالقضاء أو

= إسماعيل بن علي الأكوع . **المدارس الإسلامية في اليمن** .- ط٢ .- بيروت : مؤسسة الرسالة.- صنعاء : مكتبة الجيل الجديد ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م . عبد العزيز بن راشد السنيدي. **المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية** .- ط١ .- الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

(١) **الوقفية الغسانية** ، ص٨١ ـ ٩٤ . الخزرجي . **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**؛ تحقيق محمد بسيوني عسل .- مصر : مطبعة الهلال ، ١٣٢٩هـ/١٩١١م ، ج١ ، ص٨٤ ، ١٣٥، ١٤٦ ، ١٧٠ ، ج٢ ، ص٩ ، ١١٩ . علي بن علي بن حسين أحمد . **الحياة العلمية في تعز في عصر بني رسول** . رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٤هـ ، ص١٧٢ ـ ١٩٥ .

(٢) علي بن علي بن حسين أحمد . **الحياة العلمية في تعز**، ص١٤١ ـ ١٥١ .

الفتوى أو التدريس أو غيرها مما يقوم في أداء مهمته على قدر كبير من العلم . كما يحظى الراحل بعد رجوعه بمكانة علمية بين أوساط المتعلمين . فيزداد إقبال الطلاب للتتلمذ عليه[١].

وكان لسياسة بعض سلاطين اليمن آنذاك والمتمثلة في تشجيع وفود العلماء البارزين في بعض الأمصار الإسلامية لبلاد اليمن ، ودعوتهم للمجيء لليمن ، والاحتفاء بهم ، وتقديم كافة الخدمات لهم ؛ فضلاً عن بذل الأموال لهم بسخاء أثر في دخول الكثير من العلماء وطلاب العلم المكيين ؛ فضلاً عن نزلاء مكة والمجاورين فيها لليمن ، ومن ثمّ في إثرائهم لجوانب علمية متنوعة فيه[٢]. كما كان لحب هؤلاء الحكام للكتب أثر في جلب الكثير منها إلى اليمن . يقول العيدروسي في أحداث سنة ٩٠١هـ ـ على سبيل المثال[٣]: " وفيها قدم إلى مدينة زبيد[٤] بكتاب: فتح الباري شرح البخاري للحافظ شهاب الدين بن حجر من البلد الحرام ، وهو أول دخول له

---

(١) سوف نتحدث عن ذلك بتوسع فيما بعد .

(٢) الجندي. **السلوك**، ج٢، ص٤٤، ٧٩ . الفاسي. **العقد الثمين** ، ج٢ ، ص٢٧٣ ، ٣٦٤ ـ ٣٦٨، ج٣، ص٦٤ ـ ٦٥ ، ج٦ ، ص٢٥١ . البريهي. **طبقات صلحاء اليمن**، المعروف بـ (تاريخ البريهي): تحقيق. عبد الله الحبشي ٠- ط١ ٠- صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٣٥٠، ٣٥٢. السخاوي. **الضوء اللامع**، ج١ ، ص٢٦١ ، ج٣ ، ص١٥٢، ج٧، ص١٤٤، ١٨٢؛ علي بن علي بن حسين أحمد . **الحياة العلمية في تعز** ، ص١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٣) **النور السافر عن أخبار القرن العاشر** ٠- بغداد : المكتبة العربية ، ١٩٣٤م ، ص١٥ ـ ١٦ .

(٤) زَبيد : مدينة تقع في سهل تهامة . اختطها محمد بن زياد سنة ٢٠٤هـ ، وهي مشهورة بكثرة بساتينها ووفرة مياهها ، وكانت من الحواضر الثقافية المشهورة في بلاد اليمن . (ابن المجاور، **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز** "تاريخ المستبصر" ؛ تحقيق أوسكار لوفغرين ٠- ليدن: مطبعة بريل ، ١٩٣٦م . إبراهيم المقحفي . **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ٠- ط ٠- صنعاء: دار الكلمة ، ١٩٨٨م ، ص٢٨٦ ـ ٢٨٨) .

اليمن، وكان السلطان عامر (بن عبد الوهاب) أرسل لاشترائه، فاشتراه بمال جزيل. ثم قدم به الرسول إلى مدينة زبيد ، ثم توجه به إلى باب السلطان، فواجهه به في مدينة تعز[١]، وهذا الكتاب من آيات الله الكبرى ".

كما قام بعض أبناء اليمن من العلماء وطلاب العلم بجهود واضحة في سبيل جذب بعض العلماء المتميزين في مكة - سواء كانوا من المكيين أو النزلاء والمجاورين والوافدين - للمشاركة في دعم الحركة العلمية في بلاد اليمن بعد مقابلتهم لهؤلاء العلماء أثناء رحلاتهم العلمية إلى مكة[٢].

وعندما ننظر إلى تاريخ الدولتين الأيوبية والرسولية نلحظ حرصاً من سلاطينهما على مدّ نفوذهما إلى بلاد الحجاز، ومحاولة إقرار الأوضاع في مكة ، والقضاء على الكثير من المشكلات التي تنشب عادة بين الأشراف فيها .. وكانت أولى الخطوات في هذا الجانب قيام حاكم اليمن الملك المسعود بن الكامل الأيوبي بمد نفوذه إلى مكة سنة ٦١٩هـ، وكان لهذه السيطرة أثرها الإيجابي على مكة، فعبر عنها الذهبي بقوله[٣]: " وكثر الجلب إلى مكة في أيامه، ولعظم هيبته قلّت الأشرار، وأمنت الطرق ". كما نجح سلاطين بني رسول الأوائل في بسط سلطتهم على مكة[٤]، في

---

(١) تعز : مدينة معروفة تقع على سفح جبل صبر الشمالي . أنشئت في القرن الثالث الهجري . وتعرف قديماً باسم العُدَينة . (ياقوت الحموي . **معجم البلدان**، ج٢ ، ص٣٤ . ابن بطوطة . **الرحلة** ، ص٢٤٩ . إبراهيم المقحفي . **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ص٩١)

(٢) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص١٤١ ، ٢٠٣ ، ٢٥٢ .

(٣) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** ؛ تحقيق عمر عبد السلام تدمري -. ط١ -. بيروت: دار الكتاب العربي ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ج٤٤ ، ص٥٩ .

(٤) الخزرجي . **العقود اللؤلؤية** ، ج١ ، ص٥٥ ، ٦١ ، ٧٧ - ٧٨ ، ١١٥ ، ١٣٣ - ١٣٥ .

حين حرص من بعدهم على ضرورة الدعوة لهم على منابرها[1]. من جانب آخر، فإن حكام اليمن - خاصة سلاطين بني رسول - وبعض أتباعهم لم يألو جهداً في سبيل وضع الكثير من البصمات الحضارية لهم في مكة، فأنشأوا المدارس، وعملوا بعض الإصلاحات العمرانية والخيرية في المسجد الحرام والمشاعر المقدسة وبعض الأماكن في مكة[2]. ولا غرو أن هذه الإجراءات السياسية والإسهامات الحضارية التي قام بها حكام اليمن وأبناؤه قد زادت من الروابط بين القطرين، وقوّت الصلات بينهما، فكان هذا سبيلاً لمزيد من الانفتاح العلمي والتأثير الثقافي الذي وافق رغبة عند كثير من المكيين واليمنيين آنذاك .

وكانت بلاد اليمن قد شهدت خلال الفترة التاريخية التي نتحدث عنها تحركات اقتصادية نشطة شملت جوانب كثيرة في هذه الحياة ، سيما في مجال التجارة الخارجية بعد انفتاحها على جنوب وجنوب شرق قارة آسيا[3]، وقد عاد ذلك

---

(١) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٦ ، ص٦٢ . ابن تغري بردي . **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** .- القاهرة : نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ج١٠، ص٢٢٦. ريتشارد مورتيل . **الأحوال السياسية والاقتصادية** ، ص٩١ ، ٩٦ - ٩٧ .

(٢) الخزرجي . **العقود اللؤلؤية** ، ج١ ، ص٨٤ ، ج٢ ، ص٦٨ ، ١٥٩ ؛ الفاسي ، **شفاء الغرام** ، ج١ ، ٥٢٣ - ٥٢٤ ، ٥٣٧ ، ٥٤٠ ، ٥٥٢ .- عز الدين ابن فهد، **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام**؛ تحقيق فهيم محمد شلتوت .- ط١ .- مكة المكرمة : مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ج١ ، ص٥٩٥ ؛ ابن الديبع ، **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**؛ تحقيق، عبد الله الحبشي.- صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ١٩٧٩م ، ص٨٢ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ٩٨ .

(٣) ريتشارد مورتيل . **الأحوال السياسية والاقتصادية** ، ص١٧٤ - ١٧٥؛ علي بن علي بن حسين أحمد، **النشاط التجاري في اليمن منذ مطلع القرن الثالث الهجري حتى نهاية العصر الأيوبي** - رسالة دكتوراه ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٣هـ ، ص٣٧٩ - ٣٩٩ .

بلا شك بالنفع العميم على الحركة العلمية في اليمن ، كما نشط التواصل العلمي لها مع مكة ، سواء عن طريق إفساح المجال للطلاب للرحلة لطلب العلم بعد توافر الأموال بأيديهم ، أو جذب بعض علماء الأمصار لليمن للاستفادة من خيراته ، فتتهيأ الفرصة للاستفادة منهم ؛ إضافة لتشجيع الثراء المادي على دعم المرافق العلمية في البلاد ؛ فضلاً عن زيادة عددها ، ورفع كفاءة إمكاناتها المادية ، وهو ما نلحظه جلياً في تسابق اليمنيين وتنافسهم في هذه الجوانب.

٣- أسباب مشتركة بين مكة واليمن :

إن إمعان النظر في التاريخين السياسي والحضاري لمكة واليمن ؛ فضلا عن حياة العلماء وطلاب العلم والظروف المحيطة بهما خلال الفترة التي خصصناها بالحديث، يكشف لنا بعض الأسباب الأخرى التي كان لها تأثيرها في تعميق أثر مكة في الحركة الثقافية في اليمن.. ونظراً لأن هذه الأسباب المؤثرة لا تخص قطراً واحداً فقط بعينه ، وإنما ترتبط بكلا المنطقتين ، فقد رأينا أن نجمل الحديث عنها بعد إفرادها في عنوان مستقل .

لقد ارتبطت بلاد اليمن بمكة اقتصادياً منذ الفترة السابقة لظهور الدين الإسلامي ، فكانت رحلات قريش المشهورة في الشتاء إلى اليمن خير شاهد على هذا الارتباط الوثيق بين الإقليمين . ثم استمر هذا التواصل الاقتصادي بعد الإسلام ، فكانت اليمن معيناً اقتصادياً يمد مكة بما يكتنزه من خيرات ، كما كانت مكة سوقاً رائجة يمارس من خلالها اليمنيون نشاطات اقتصادية متنوعة[1]. ثم

(١) ريتشارد مورتيل ، **الأحوال السياسية والاقتصادية** ، ص١٨٠ ـ ١٨٣ . علي بن علي بن حسين أحمد . **النشاط التجاري في اليمن** ، ص٣٢٥ ـ ٣٣١ .

ازداد النماء الاقتصادي في البلدين وتعمقت الصلات بينهما في هذا الجانب ، سيما إبان العصر المملوكي ، بعد أن استجدت بعض التطورات الاقتصادية على المنطقة عقب تحول طريق التجارة الذي يربط الشرق بالغرب إلى البحر الأحمر ، ماراً بالموانئ اليمنية والحجازية ، ومحدثاً لها خلال هذه الحقبة ازدهاراً اقتصادياً لم يسبق له مثيل .

ولقد كان لهذا النمو الاقتصادي الذي شمل المنطقتين حينذاك أثر في زيادة الصلات العلمية بين مكة واليمن ، وبالتالي تأثير مكة - بشكل أو بآخر - في أكثر من جانب في الحركة العلمية في اليمن . فعندما ننظر لسير بعض العلماء وطلاب العلم المكيين ، نرى أن الكثيرين منهم قد عملوا في مجال التجارة ، وترددوا في سبيل ذلك كثيراً على اليمن[١]. كما قام عدد من المجاورين في مكة بالعمل نفسه بعد أن جاوروا في مكة وسمعوا بها[٢]. من جانب آخر مارس عدد من طلبة العلم اليمنيين التجارة في مكة ، مع عدم الانقطاع عن العلم[٣].

بيد أن هناك فئة ليست بعيدة المجال عن الفئات السابقة ، ولكنها قد تكون أقل طموحاً منها ، حيث تتحفنا المصادر بعدد كبير من العلماء وطلاب العلم ممن دخلوا اليمن ، أو جاءوا لمكة من بلاد اليمن بهدف البحث عن الرزق والحياة المعيشية الأفضل ، أو تسديد الديون التي قد تلحق بهم ، وكان ترويج ما يحملون من علم -

---

(١) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٢ ، ص٣٣٩ ، ج٣ ، ص٢٣٩ - ٢٤٠ ، ج٨ ، ص٢١. السخاوي. **الضوء اللامع** ، ج١ ، ص٢٥٦ ، ج٢ ، ص١٧٨ ، ج٣ ، ص١٥٢ ، ج١١ ، ص٧٤ .

(٢) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٤ ، ص٦٢ .

(٣) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص١٠٣ .

سيما من خرجوا من مكة لليمن - سبيلاً لنيل تلك المآرب التي خرجوا من أجلها[١].

من جانب آخر فإننا لا نستبعد أن لازدهار سوق الكتب في مكة خلال الحقبة التي قصدناها بالدراسة وتنامي الحاجة إليها ، وبالتالي تطور أعمال الوراقة فيها قد دفع عدداً من اليمنيين للقدوم إلى مكة والبقاء فيها فترة من الزمن للتكسب من خلال النسخ ، وطلب العلم على علماء مكة والقادمين إليها .. ولعل ما يؤيد ذلك قيام بعض اليمنيين بممارسة مهنة الوراقة في مكة آنذاك ، ومنهم مثلاً : أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن موسى الأشعري اليماني ، حيث يقول عنه السخاوي[٢]: «... يتكسب بالنساخة الجيدة مع مزيد فاقته وكثرة أخلافه وعدم موافاته في الكتابة ، ولولا ذلك لكان غنياً منها» . بل كانت ممارسة هذه المهنة حافزاً لمجاورة بعض أبناء اليمن في مكة ، حيث يقول السخاوي على سبيل المثال عن أبي القسم بن علي بن محمد الزبيدي المعروف بالشرف زبيدة (ت٨٥٨هـ)[٣]: " ثم حج وأقام بمكة ينسخ بالأجرة " .

ولا شك أن الثراء الذي نعمت به بلاد اليمن - والذي أشرنا إليه سابقاً قد أفسح المجال أمام أبنائه ممن أنعم الله عليهم بالرزق الرغيد؛ لتحقيق رغباتهم في اقتناء الكتب التي تعرض في الأسواق المكية ؛ فضلاً عن جلبها لبلادهم لتعميم فوائدها بين طلبة العلم في اليمن[٤].

---

(١) انظر - مثلاً - الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٢ ، ص٧٨ ، ١١٣ - ١١٤ ، ج٥ ، ص٣٨٤ - ٣٨٥ ، ج٦، ص١٣٧ ، ج٧ ، ص٤٢٦ ، ج٨ ، ص٢٢ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٣ ، ص٣٨ . ج٤ ، ص٩٦، ١٢٦ ، ج٥ ، ص١٤٩ ، ١٧٥ ، ج٨ ، ص١٠٣ ، ١٣٤، ١٤٠ ، ١٦٢ ، ج٩ ، ص١٣٥ ، ج١٠ ، ص١٤ ٢٣٣ ؛ **التحفة اللطيفة** ، ج٣ ، ص٩٦ .

(٢) **الضوء اللامع** ، ج١٠ ، ص٢٥٠ .

(٣) **الضوء اللامع** ، ج١١ ، ص١٣٦ .

(٤) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص١٠٣ .

وفي تتبع سير بعض العلماء وطلبة العلم في البلدين كشف لوجود صلات اجتماعية تربط بين أبنائهما . فكانت ظاهرة المصاهرة بين أبناء مكة واليمن واضحة للعيان سيما في القرنين الثامن والتاسع الهجريين . ولا شك أن هذه المصاهرات قد أدت إلى مزيد من التقارب بين أبناء القطرين ، فنتج عنها استيطان بعض المكيين اليمن ، أو بقاء بعض اليمنيين في مكة ، كما أجبرت البعض الآخر على التردد بين البلدين ، وفي ذلك كله منافع علمية ، وتبادل ثقافي مختلف الأشكال ومتنوع الصور[1].

وكانت بعض المشكلات التي يتعرض لها بعض العلماء وطلبة العلم والصعوبات المختلفة التي يواجهونها سبباً أدى إلى انتقال بعض هؤلاء من مكة إلى اليمن ، أو دفع بعض أبناء اليمن للمجيء إلى مكة ، وغالباً ما يعود المهاجر إلى بلده عقب زوال السبب الذي أدى إلى رحيله ، ولكن بعد أن يستفيد علمياً ويفيد فيما يتقن من علوم[2].

ولا ننسى أثر التوافق المذهبي بين مكة وبلاد اليمن ، سيما في المذهبين الشافعي والحنفي[3] اللذين عليهما غالبية اليمنيين ، كما أنهما منتشران بشكل كبير

---

(١) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٥ ، ص١٠٤ ـ ١١٠ ، ج٨ ، ص٨٧ – ٨٩ . السخاوي . **الضوء اللامع**، ج٢ ، ص١٠٤ ، ج٤ ، ص٢٥١ ، ج٨ ، ص٧٣ .

(٢) الجندي . **السلوك** ،ج١ ، ص٢٦٦ ، ج٢ ، ص١٣٦ . الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٦ ، ص٢٤٩ ـ ٢٥٠ ، ج٧ ، ص٣٢٣ ـ ٣٣٤ . السخاوي. **الضوء اللامع** ، ج٢ ، ص١٠٨ .

(٣) انتشر المذهب الشافعي في اليمن في أوائل القرن الثالث الهجري ، حيث كانت رحلة الإمام الشافعي لهذه البلاد سبباً في انتشاره ، ثم تزايد انتشاره على أيدي بعض اليمنيين الذين رحلوا للحجاز والعراق لطلب العلم. وكان تركز هذا المذهب في اليمن في مناطق: إب وتهامة وتعز وزبيد والبيضاء وحضرموت وغيرها من مقاطعات جنوب اليمن. ولا يزال منتشراً في =

في مكة حينذاك ـ سواء كان ذلك الأثر في دفع الكثير من طلبة العلم اليمنيين للتتلمذ في علم الفقه على علماء هذين المذهبين في مكة ، خصوصاً وأننا نرى تنافساً مذهبياً بين الشافعية والحنفية في اليمن ، وحرص أتباع كل مذهب على خدمته ودعمه[1]، أو قدوم بعض العلماء من مكة لنشر علمهم الفقهي في اليمن ، وتولي بعض المناصب ، مثل التدريس في بعض المدارس التي خصصت كرسياً لتدريس هذين المذهبين أو أحدهما[2]، أو شغل منصب القضاء في اليمن ، والذي كان على المذهب الشافعي[3].

رحلات اليمنيين إلى مكة وآثارها على الحياة العلمية في اليمن :

لا يرحل طالب العلم من بلاد اليمن ـ في الغالب ـ إلا بعد استكمال الطلب على مشايخ بلاده ، فنرى الطالب يحرص في بداية مشواره العلمي على أخذ العلم

= هذه المناطق . أما المذهب الحنفي فكان من المذاهب السائدة في اليمن منذ المئة الثالثة الهجرية ، وقد قل انتشاره بعد دخول المذهب الشافعي وانتشاره بشكل واسع ، ومع ذلك فقد استمر أتباعه في اليمن ، ولا يزال موجوداً في هذه البلاد . (انظر : حسين شرف الدين . **تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن** ٠- ط٢ ٠- الرياض : مطابع الرياض ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص٤٠ . أيمن فؤاد سيد . **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري** ، ص٥٨ ـ ٥٩ . عبد الله الحبشي. **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ٠- بيروت: المكتبة العصرية ، ١٤٠٨هـ ، ص١٦٩) .

(١) الخزرجي. **العقود اللؤلؤية**، ج١، ص١٥٥ . الشرجي. **طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص**٠- ط١ ٠- صنعاء: الدار اليمنية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٣٧٧ - ٣٧٨ . بامخرمة. **تاريخ ثغر عدن** ٠- ليدن : مطبعة بريل، ١٩٣٦م، ق٢ ، ص١٩٤ .

(٢) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٥ ، ص٤٥٢ ـ ٤٥٤ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٤ ، ص٢٢٢ .

(٣) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٥ ، ص٤٥٢ ـ ٤٥٤ . **السخاوي . الضوء اللامع** ، ج١ ، ص٢٦١ ، ج٤، ص٢٢٢ ، ج٧ ، ص١٦٤ .

على المشايخ القريبين منه، ثم ينتقل للبحث عن العلماء المشهورين في آصقاع اليمن، فيقابلهم، وينهل من علومهم ، ويحصل على إجازات علمية منهم، ثم يفكر بعد ذلك في لقاء العلماء خارج بلاده ؛ رغبة في رفع رصيده العلمي، ومخزونه الثقافي[١]. وغالباً ما تكون الرحلة إلى طلب العلم ـ بشقيها الداخلي والخارجي في سن الشباب، حيث الحيوية والنشاط والطموح لمواصلة المسيرة التعليمية[٢].

وحيث تُعد مكة بمركزها الديني أبرز نقطة امتزاج فكري وترابط ثقافي إسلامي تلتقي فيها حضارة المشرق بالمغرب ـ كما أسلفنا؛ فإن طالب العلم اليمني كغيره من طلاب العلم يجد في رحلته إلى مكة فرصة مثلى تجمعه بالكثير من علماء الأمصار ، وتريحه من السفر والرحلة لبعض الأقاليم ؛ فيزيد رصيده العلمي، ويُكثّر من مشايخه ، ويعلي من روايته . وقد بين ابن سمرة العلاقة العلمية الوثيقة بين مكة واليمن حين قال[٣]: " وأكثر ما يتفقه به أهل اليمن في صدر الإسلام وما بعده إلى وقت ظهور تصانيف الشافعية بفقهاء مكة والمدينة " . ولذا فإننا نلحظ على مدى

---

(١) يقول عبد الوهاب أبو سليمان : " كان لمكة المكرمة وبالأحرى لفقهائها وعلمائها فضل كبير وأثر بارز على النهضة العلمية في كثير من البلاد الإسلامية . فتحت لأبناء البلاد الإسلامية أبوابها ، واستقبلتهم ساحاتها العلمية في كافة مؤسساتها . لم يكن ليحد من إقامتهم بها أنظمة أو قوانين ، وإن هو إلا اقتناعهم الشخصي ، وشعور الواحد منهم بأنه قد تزود بالقدر الكافي من العلوم الشرعية وتلقيها على أيدي علمائها الأجلاء : ليعود إلى وطنه لينشر الإسلام ويفقه أبناء جلدته " . (**الحرم الشريف الجامع والجامعة** ، ص١٥) .

(٢) محمود قمبر . الرحلة العلمية وقيمتها التربوية . **حولية كلية التربية** ، جامعة قطر ، س٦ ، ع٦، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص ١٥١ .

(٣) **طبقات فقهاء اليمن** ؛ تحقيق فؤاد سيد ٠- بيروت : دار القلم ، (د . ت) ، ص ٥٥ .

التاريخ تواصل الرحلات العلمية من اليمن إلى مكة للتتلمذ على علمائها، وكذلك استغلال تواجد من يفد إليها من علماء الأمصار .

وسوف نلقي الضوء على موضوع رحلات اليمنيين إلى مكة وآثارها على الحياة العلمية في اليمن من خلال ثلاثة محاور. الأول منها يكشف نوعيات القادمين من اليمن إلى مكة، والثاني يلقي الضوء على طرق استفادة اليمنيين في مكة وأساليبها. أما الثالث فسوف يزيح الستار عن آثار هؤلاء الطلاب على الحياة العلمية في اليمن بعد عودتهم من مكة .

أولاً : نوعيات اليمنيين القادمين إلى مكة .

عندما ننظر للقادمين من اليمن إلى مكة خلال الحقبة التي خصصناها بالبحث، نرى أنهم انقسموا إلى أربعة أنواع : نوع جاء للاستقرار والاستيطان الدائم في مكة ، ونوع قدم للمجاورة فيها بعض الوقت ثم العودة لبلاده ، وثالث وفد إلى مكة لطلب العلم فقط، ولم يُذكر أنه استوطن أو جاور . أما النوع الرابع فهو من أتى في موسم الحج، وجمع بين أداء المناسك وطلب العلم والمعرفة في مكة .

ونلاحظ من خلال النظرة الشاملة للنوع الأول خلال الحقبة التاريخية التي نتحدث عنها : أن عدد الراغبين في الاستقرار في مكة في أوائلها أكثر منهم في الفترة المتأخرة منها. كما نرى اختلاف دواعي هذا الاستيطان من شخص لآخر؛ فمنهم من استوطن مكة لبعض الظروف الخاصة التي مرت به[1]، ومنهم من بقي

(١) الجندي . **السلوك** ، ج٢ ، ص١٣٧ . الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٦ ، ص٢٤٩ - ٢٥٠ . البريهي. **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٣١٢ - ٣١٣ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج١١ ، ص١٣٦ .

فيها لتولي بعض المناصب[١]، أو لممارسة التجارة[٢]، أو ممارسة بعض الأعمال المهنية والتكسب من خلالها[٣]. أو الرغبة في الانقطاع للعبادة[٤]. ومن هؤلاء من كان من أصل مكي . ولد في اليمن ، وعاش فيها ، ثم انتقل بعد ذلك ليستقر في مكة[٥]. وبالرغم من أن هؤلاء قد نزلوا مكة : إلا أن عدداً منهم تردد إلى اليمن ، ونشر فيها خلال تردده إليها ما اكتسبه من علوم ومعارف ، فشارك بذلك في إثراء الحياة العلمية في بلاده ، ومنهم على سبيل المثال: عبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ)[٦]، وعلي بن محمد بن مسعود الشاوري المعروف بالعرابي (ت٨٢٧هـ)[٧]، وغيرهما .

أما المجاورون من منسوبي العلم من اليمنيين في مكة - وهم النوع الثاني من القادمين - فقد تزايدوا خلال الحقبة المعنية بالدراسة بشكل كبير ، مقارنة بالحقب السابقة لها ، فعندما نتتبع سير العلماء وطلبة العلم اليمنيين في كتب التراجم والطبقات، نلحظ تأكيدها مجاورة عدد كبير منهم في مكة لطلب العلم ، وكثيراً ما تطالعنا هذه المصادر في ترجمة هؤلاء ببعض العبارات، مثل : "جاور في

---

(١) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٨ ، ص١٧ - ١٨ ، ٨٧ - ٨٩ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٢ ، ص٢٩، ١٢٦ ، ج١٠ ، ص٢٢١ ، ج١١ ، ص٦٤ .

(٢) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج١ ، ص٢٥٦ .

(٣) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٦ ، ص٥٧ . البريهي. **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٦٥ . السخاوي. **الضوء اللامع** ، ج٥ ، ص١٥٥ .

(٤) السخاوي. **الضوء اللامع** ، ج٥ ، ص٥٩ ، ج٦ ، ص٢٦ .

(٥) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٤ ، ص١٦٧ ، ٢٥١ ، ج٤ ، ص٣١٠ - ٣١١ ، ٣٢٨ .

(٦) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٥ ، ص١٠٤ - ١١٠ : ابن حجر العسقلاني . **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** .- بيروت : دار الجيل ، (د . ت) ، ج٣ ، ص١٨ - ٢٠ .

(٧) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٤١ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٦ ، ص١٣١-١٣٢ .

مكة"[١]، أو "حج وجاور"[٢]، أو "وكان كثير الحج والمجاورة" [٣]، أو "حج مرارا وجاور في بعضها"[٤]، وغير ذلك من الألفاظ التي تدل على مجاورة اليمنيين؛ فضلاً عن تزايدها حينذاك .

وبالرغم من أن بعض المصادر لم تحدد مدة مجاورة بعض اليمنيين، وإنما أشارت فقط للبعض بأنه جاور أو قطن مكة مدة، أو جاور سنين في مكة دون تحديدها[٥]، أو أنه جاور في مكة دون ذكر المدة التي قضاها فيها[٦]؛ إلا أنها لم تبخل علينا في مواقع أخرى بتحديد المدة التي قضاها بعض أبناء اليمن مجاورين في مكة. وفي استعراض ما ورد من نصوص حول هذا الموضوع نلحظ تفاوتاً في مدة المجاورة من شخص لآخر ، ولكن إذا نظرنا لها بشكل عام نرى أنها تزيد وتنقص

---

(١) السبكي . **طبقات الشافعية الكبرى** ؛ تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو -٠ ط٢ -٠ دار هجر ، ١٤١٣هـ ، ج٧ ، ص٨٥ . الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٦ ، ص٣٤٩ . البريهي. **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٦٥ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٢ ، ص٢٦٦ ، ج٤ ، ص١٥٧ ، ج٨ ، ص٥٨ .

(٢) السخاوي. **الضوء اللامع** ، ج٥ ، ص١٣٤ ، ج٦ ، ص٢٩٨ ، ج٨ ، ص٥٨ ، ج١٠ ، ص٢٢٤ . العيدروسي . **النور السافر** ، ص٢٧ .

(٣) السبكي . **طبقات الشافعية الكبرى** ، ج٧ ، ص٨٥ .

(٤) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٣ ، ص١٤٦ .

(٥) الجندي . **السلوك** ، ج٢ ، ص٢٠٣ ، ٤٢٨ . الفاسي. **العقد الثمين** ، ج٣ ، ص٤٤٨ - ٤٤٩ . البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٦٥ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٣ ، ص١٤٧ ، ج١٠ ، ص٢٤٩ .

(٦) الجندي . **السلوك** ، ج١ ، ص٢٨٦ ، ج٢ ، ص٢٩٢ ، ٣٤٩ ، ٤٢٨ . السبكي . **طبقات الشافعية** ، ج٧ ، ص٢١٥ . الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٦ ، ص٣٤٩ . البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٣١٧ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٤ ، ص١٥٨ ، ج٥ ، ص٩٦ ، ١٣٤ ، ج١٠ ، ص٢٢٤ ، ٢٤٨ .

حسب رغبة المجاور وظروفه[1]. وقد وصلت بعض المجاورات أقل من سنة ، بحيث يقدم إلى مكة قبل موسم الحج ببضعة أشهر ، ويسعى خلال ذلك جاهداً في طلب العلم ومقابلة العلماء المشهورين في مكة ، ثم يعود إلى بلاده بعد تأدية مناسك الحج، ورفع رصيده المعرفي[2].

أما النوع الثالث من القادمين من طلبة العلم اليمنيين إلى مكة فهم الوافدون الذين تبين من خلال حديث المصادر عنهم أنهم جاءوا إلى مكة ، وتتلمذوا على العلماء فيها ، ثم عادوا لليمن مرة أخرى ، ولكن هذه المصادر لا تفصح عن مجاورتهم ولا عن مدة تتلمذهم على هؤلاء المشايخ ، فهي تذكر - مثلاً - أن فلاناً قدم مكة وأخذ العلم فيها[3]، أو سافر إلى مكة ودرس على علمائها[4]، أو ارتحل إلى مكة بعد دراسته في بلاده [5]، أو كانت قراءته بمكة [6].. ومنها ما يذكر تتلمذ أحد الطلاب على بعض العلماء المكيين أو المجاورين دون أن يذكر له رحلة أو مجاورة [7]، بالرغم من أن هؤلاء العلماء لم يرحلوا إلى بلاد اليمن ، وغير ذلك من الألفاظ التي

---

(١) الجندي . **السلوك** ، ج١ ، ص٢٦٦ ، ج٢ ، ص٤٠٠ . السبكي . **طبقات الشافعية الكبرى** ، ج٧ ، ص٨٧ . الفاسي . **العقد الثمين** ، ج١ ، ص٤٢٥ - ٤٢٦ . البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٦٥ ، ٢٢٢ ، ٣٣٤ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج١ ، ص١١٥ ، ٢٥٩ ، ج٥ ، ص١٨٣ ، ٢٩٠، ج٨ ، ص٥٨ ، ٢٢٥ ، ج١٠ ، ص١٧٨ .

(٢) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٢ ، ١٢٤ ، ج٣ ، ص١٤٥ ، ١٤٧ ، ج٧ ، ص٢٥٠ ، ج٩ ، ص١٤٦.

(٣) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٢ ، ص٦٣ .

(٤) الجندي . **السلوك** ، ج٢ ، ص٣٢ . البريهي. **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٤٣ ، ٩٦ .

(٥) الجندي . **السلوك** ، ج١ ، ص٣٧٧ ، ج٢ ، ص٢٩ . البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص١٢٠ .

(٦) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص١٦٣ ، ٢٤٨ .

(٧) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٣ ، ص٢٥٩ .

تؤكد لنا وجود فئة أخرى غير فئتي النزلاء أو المجاورين وفدت إلى مكة ، واستفادت من علمائها أو المجاورين والوافدين إليها ، ثم عادت لتسهم في إثراء الحركة العلمية في اليمن آنذاك . ويدخل في هذه الفئة عدد كبير من طلاب العلم اليمنيين ممن تتلمذوا في مكة على الإمام السخاوي خلال مجاوراته المتعددة فيها ، ولم يصرح السخاوي خلال ترجمته لهؤلاء بمجاورتهم أو مجيئهم أثناء الحج[1] . كما يدخل مع هذا النوع مجموعة أخرى من طلبة العلم القادمين من اليمن ممن عرفوا بكثرة التردد إلى مكة[2]. ويبدو أن زيادة رغبات هؤلاء العلمية، وقرب مكة جغرافياً من اليمن، قد دفعاهم إلى ذلك السلوك وشجعاهم عليه.

أما النوع الرابع من مجمل القادمين إلى مكة، فهم من استغلوا فرصة الرحلة لتأدية فريضة الحج لمقابلة العلماء المكيين أو المجاورين في مكة أو الوافدين للحج فينهلون من علومهم ويقتبسون من معارفهم ، وقل أن يرحل عالم أو طالب علم يمني للحج دون أن يرجع وفي جعبته مستغل علمي أضافه لرصيده السابق الذي يكتنزه ؛ ومن هؤلاء العلماء والطلاب من يكتفي بالأخذ عن العلماء في مكة أثناء موسم الحج ثم يعود لبلاده[3]، ومنهم من يتقدم في المجيء إلى مكة بضعة أشهر يستغلها لطلب

---

(١) السخاوي. **الضوء اللامع**، ج١، ص٢٥٩، ٢٧٣، ٣٥٨، ٣٧٠، ج٢، ص٢٢٩، ٢٩٠، ج٣، ص١٦٥، ٢٦٧، ٣٢٠، ٣٢١، ج٤، ص١٤، ٢٤، ٤٣، ٢١٠، ٣٢٦، ج٥، ص٢٥، ج٧، ص٦٠، ج٨، ص١٧٦، ج٩، ص١٢، ٢٨٨، ج١٠، ص٢٤٨، ج١١، ص٢٧، ١٣٥ .

(٢) الجندي . **السلوك** ، ج٢ ، ص١٣٧ . السخاوي . **الضوء اللامع**، ج٢ ، ص٦٣ ، ج٤ ، ص, ٢٦٨

(٣) الجندي . **السلوك** ، ج١ ، ص٢٤٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ج٢ ، ص١٢٠ ، ٢٢٣ . البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص١٢٤ ، ١٢٨ ، ٢٥٧ ، ٣١٧ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٧ ، ص٢٧ ، ج٨ ، ص٢٥٣ .

العلم ، ويمكث حتى ينهي فريضة الحج ليعود بعدها[1]. وهناك من يفضل البقاء بعد الحج في مكة للمجاورة وطلب العلم على أيدي العلماء فيها[2].. بيد أن هناك من اليمنيين من يكرر الحج أكثر من مرة مستغلاً ذلك في السماع على أكبر عدد ممكن من العلماء بمكة[3]. ومن أبناء اليمن من كان يخرج للحج عامداً لقاء علماء الأمصار القادمين للحج ، مثل علي بن مهدي بن محمد بن علي الرعيني الذي يقول عنه الجندي[4]: «كان يخرج إلى الحج فيأتي حاج العراق وعلماءه ووعاظه فيتضلع من علومهم ومعارفهم».

ولعل ما يلاحظ ـ قبل أن نخرج من هذا الموضوع ـ اكتفاء الكثير من طلبة العلم اليمنيين بالرحلة إلى مكة، وربما المدينة ، ثم العودة لبلادهم ، وقليل هم أولئك الذين رحلوا في هذا السبيل من اليمنيين لأمصار أخرى غير بلاد الحجاز. ولا شك أن السبب في ذلك ما أشرنا إليه في حديث سابق من توافر الكثير من الفرص العلمية المختلفة آنذاك، والتي هيأتها لمكة قدسية المكان ومناسباته الدينية؛ فضلاً عن التحركات العلمية النشطة التي شهدتها تلك الحقبة التاريخية التي نتحدث عنها.

ثانياً : طرق استفادة اليمنيين العلمية في مكة وأساليبها .

تعددت السبل التي اتخذها أبناء اليمن في سبيل تحقيق أكبر قدر من الفوائد

---

(١) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٢ ، ١٢٤ ، ج٣ ، ص١٤٥ ، ١٤٧ ، ج٧ ، ص٢٥٠ ، ج٩ ، ص١٤٦ .

(٢) الجندي . **السلوك** ، ج١ ، ص٢٣٠ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٨ ، ص٥٨ ، ج٨ ، ص١٧٥ ، ٢٥٥ . البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٦٥ .

(٣) الجندي . **السلوك** ، ج١ ، ص٣٦٨ ، ج٢ ، ص٢٤٣ . البريهي. **طبقات صلحاء اليمن** ، ص١٩٠. السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٤ ، ص٢٤ ، ٤٠ ، ٦٤ ، ج٨ ، ص١٧٣، ج١٠ ، ص٢٤٣ ، ج١١ ، ص٧٩ . العيدروسي . **النور السافر** ، ص٢٧ .

(٤) الجندي . **السلوك** ، ج٢ ، ص٥١٦ .

العلمية خلال تواجدهم المؤقت في مكة ، كما تنوعت صور هذه السبل وتباينت أساليبها وأشكالها ، ومع ذلك فقد كانت في مجملها خاضعة بطبيعة الحال للإمكانات والظروف الشخصية التي تهيمن على الملقي والمتلقي ؛ فضلاً عن مسايرتها لطبيعة الحياة العلمية السائدة ، ومقتضيات العصر ومتطلباته آنذاك .

وقد تجسدت هذه الطرق والصور في ألوان مختلفة ، منها: الحرص على الطلب ولقاء العلماء في مكة بشتى نوعياتهم ، فما أن يأتي الطالب إلى مكة حتى يشرع في استكمال تعليمه فيها ، وذلك بمقابلة أكبر قدر ممكن من هؤلاء العلماء ، والنهل من علومهم ؛ فضلاً عن قراءة الكتب المنتشرة بين أوساط المتعلمين في مكة ، وفي تصفح تراجم الوافدين من بلاد اليمن من النوعيات التي سبق وأن تحدثنا عنها توضيحًا لهذا الأمر وجلاء له ، حيث نلحظ من خلال تراجمهم حرصاً منهم على الإكثار من الأخذ عن علماء مكة والنزلاء والمجاورين والوافدين ، وكثيراً ما تتحفنا المصادر بنصوص صريحة وواضحة تؤكد ذلك الحرص وتبين مكانة من تتلمذوا عليه وكثرة عدد هم في مكة حينذاك.. ومن هذه النصوص والعبارات على سبيل المثال: "حج مكة فلقي بها جمعاً من الأكابر"[١]، أو " أدرك بها جمعاً من الفضلاء"[٢]، أو "ومن شيوخه ... وكان لقيهما بمكة"[٣]، أو " سافر إلى مكة فأجاز له جماعة من الفقهاء والمحدثين"[٤]، أو سافر إلى مكة.. وقرأ على الأئمة هنالك"[٥]، أو "فلما وصل إلى مكة قرأ على الإمام... وعلى غيره من فقهاء مكة فأجازوا له ثم عاد إلى

(١) الجندي . **السلوك** ، ج٢ ، ص١٢٠ .

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٨ .

(٣) السخاوي. **الضوء اللامع**، ج١١، ص٧٨ .

(٤) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٩٦ .

(٥) المصدر السابق، ص٣٠ .

اليمن"[١]، أو "ارتحل إلى مكة... ولم يكن يترك أحداً من الواردين والمقيمين لديه فضل يتحقق إلا أخذ عنه" [٢]، أو " وقرأ على الأئمة بالحرمين الشريفين" [٣]، أو "وأخذ بمكة عمن لقيه من العلماء"[٤]، أو " سافر إلى مكة ... فأخذ بها العلم عن القاطنين بمكة والواردين إليها فتضلع من العلوم تضلعاً جيداً"[٥]، أو " تردد لمكة كثيراً ... وقرأ في بعض قدماته مكة على .. "[٦]، أو " سافر إلى مكة .. مراراً واجتمع بالشيوخ الكبار هناك فأخذ عنهم " [٧]، أو " حج مراراً فأخذ عن المقيمين بها والواردين إليها ، وكان ذا مسموعات في إجازات من الشيوخ وغيرهم من الأكابر"[٨]، أو " وارتحل إلى مكة وأخذ عن أعيانها" [٩]، إلى غير ذلك من النماذج والأمثلة الكثيرة التي تبين حرص اليمنيين على الرحلة إلى مكة ومدى استفادتهم العلمية أثناءها من خلال مقابلة كبار العلماء هناك .

كما نلحظ من خلال تتبع اشتغال أبناء اليمن بطلب العلم في مكة رغبة في تنوع العلوم والمعارف التي يتلقونها عن العلماء المتواجدين فيها، والتي كانت في الغالب من العلوم الشرعية أو ما يتعلق بها من علوم أخرى ، فرضتها قدسية المكان،

---

(١) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص١٢١ .

(٢) الجندي. **السلوك**، ج٢، ص٤٠٠ .

(٣) البريهي. **طبقات صلحاء اليمن**، ص٢٢١ .

(٤) الجندي. **السلوك** ج٢، ص٢٨٥ .

(٥) المصدر السابق، ج١، ص٣٣٧ .

(٦) السخاوي. **الضوء اللامع**، ج٤، ص٢٦٨ .

(٧) البريهي. **طبقات صلحاء اليمن**، ص١٩٠ .

(٨) الجندي. **السلوك**، ج١، ص٣٦٨ .

(٩) المصدر السابق، ج٢، ص٢٩ .

ورغبة الكثير من طلبة العلم في ذلك الزمان . وقد حقق الوافدون من اليمن الرغبات المذكورة آنفاً من خلال التتلمذ على عدد من العلماء والمشايخ الذين عرفوا بتخصصهم في بعض العلوم[١]، أو مداومة الطلب على بعض العلماء الذين اشتهروا بسعة علمهم وتنوع ثقافتهم وتعدد تخصصاتهم[٢].

وفي سبيل تحقيق الطلاب للأهداف العلمية التي قدموا لأجلها، فإننا نرى أن ظاهرة ملازمتهم لبعض العلماء في مكة واضحة للعيان إبان هذه الحقبة التي تتحدث عنها الدراسة ؛ فنجد بعض الطلاب يبقى مع أحد العلماء مدة طويلة من الزمن يستقصي ما عنده من علوم ، وربما يلازمه في علم معين يمكث معه حتى يتقنه، وقد تكون الملازمة لدراسة أحد الكتب مما يشتهر بروايته أحد العلماء . وتنتهي مدة الملازمة بانتهاء المهمة التي لازمه من أجلها . ومن نماذج الطلاب اليمنيين الملازمين لبعض العلماء في مكة ـ مثلاً ؛ بطال بن أحمد بن محمد بن سليمان الركبي (٦٣٣هـ) حيث أخذ عن الإمام محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف في مكة ولازمه ملازمة تامة لهذا الغرض[٣]. وعبد الولي بن محمد بن عبد الله الخولاني (ت٨٣٩هـ) الذي لازم الإمام مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي بمكة أثناء مجاورته فيها ، حتى مهر في النحو على يديه[٤]. ومحمد بن عبد الصمد بن أبي

---

(١) الجندي. **السلوك**، ج١، ٢٦٢، ٢٨٥، ج٢، ص٢٠٣ . السبكي. **طبقات فقهاء الشافعية**، ج٧، ص١١٥. البريهي. **طبقات صلحاء اليمن**، ص٢٢١ . السخاوي. **الضوء اللامع**، ج٢، ص٦٣، ج٤، ص٦٤ .

(٢) الجندي. **السلوك**، ج٢، ص٢٢٣، ٤٢٨. البريهي. **طبقات صلحاء اليمن**، ص١٦٣ . السخاوي. **الضوء اللامع**، ج٢، ص١٠٨، ج٣، ص١٤٥، ١٤٦، ج١٠، ص١٧٨، ٢٢٤، ٢٤٨ .

(٣) الجندي. **السلوك**، ج٢، ص٤٠٠. الفاسي. **العقد الثمين**، ج٣، ص٣٧٦ .

(٤) السخاوي. **الضوء اللامع**، ج٥، ص٩٦ .

بكر السكسكسي البريهي (ت٨٥٤هـ) الذي حج وجاور بمكة ، وسمع على بعض العلماء فيها ومن أبرزهم الإمام الشمس البرماوي، حيث لازمه هذا الطالب كثيراً خاصة في علم الفقه وأصوله[١]. كما لازم الإمام عبد الرحمن السخاوي خلال مجاوراته المختلفة في مكة عددٌ من طلاب العلم القادمين من اليمن ، فنهلوا من علومه المتنوعة من خلال دراستهم لمصنفاته أو ما يدرّسه من مصنفات أخرى؛ منهم - مثلاً - أحمد بن أبي بكر بن محمد الناشري[٢]، وحسين بن صديق بن حسين الأهدل[٣]، وموسى بن أحمد بن موسى الصريفيني المعروف بالمكشكش[٤]، وغيرهم.

وقد نتج عن حرص أبناء اليمن على طلب العلم في مكة، وملازمتهم الطويلة لبعض العلماء - كما أسلفنا - أن شُهر عدد منهم بكثرة ما سمعه من علم في مكة، وبضخامة ما تلقاه عن علمائها ومن قدم إليها من نزلاء ومجاورين ووافدين، حتى وصل الأمر بالإمام طاهر بن يحيى العمراني (ت٥٨٧هـ) أن قال بعد عودته من رحلته العلمية إلى مكة والتي نهل فيها من علوم المكيين والواردين إلى مكة مفتخراً: أنا ابن ثمانية عشر علماً[٥].

من جانب آخر فقد حرص الكثير من الطلاب القادمين من اليمن على أن يقرنوا ما فازوا به من علوم ومعارف جلبوها إلى بلادهم أثناء رحلتهم العلمية إلى مكة بالحصول على إجازات علمية من كبار العلماء تؤهلهم للتدريس وتخولهم برواية

---

(١) السخاوي. **الضوء اللامع**، ج٨، ص٥٨ .

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٢٥٩ .

(٣) السخاوي. **الضوء اللامع**، ج٣، ص١٤٥ . العيدروسي . **النور السافر**، ص٢٧ .

(٤) السخاوي. **الضوء اللامع**، ج١٠، ص١٧٨ .

(٥) الجندي. **السلوك**، ج١، ص٣٢٧ .

علومهم بعد العودة لبلادهم.. ونظراً لكثرة الحاصلين من أبناء اليمن على إجازات علمية من مكة، فسوف نقتصر على بعض الأمثلة فقط ؛ ومن هؤلاء مثلاً أحمد بن محمد بن عبد الله بن سلمة البريهي (ت٥٨٦هـ) الذي حصل على إجازة حافلة برواية صحيح مسلم من الإمام محمد بن عبد الله الهروي إمام الحنابلة بالحرم الشريف مؤرخة في سنة ٥٨١هـ. وبطال بن أحمد بن محمد الركبي (ت٦٣٣هـ) الذي أجازه ابن أبي الصيف في مكة إجازة عامة لكتبه ومروياته إجازة مؤرخة بسنة ٦٠١هـ[١]. وإدريس بن محمد بن سعيد بن يوسف الوائلي (ت٧٧٤هـ) الذي قال عنه البريهي[٢]: "ارتحل إلى مكة المشرفة وقد كان قرأ في العلم باليمن فلما وصل مكة قرأ على الإمام الطبري وعلى غيره من فقهاء مكة فأجازوا له ثم عاد إلى اليمن". وأحمد بن عبد الرحمن بن عمر الحبيشي (ت٨٢٢هـ) الذي حصل بعد مجيئه إلى مكة ودراسته فيها على إجازات من بعض الأئمة في بعض العلوم[٣]. وحسن بن محمد بن سعيد الشظبي الحارثي المحرزي (ت٨٣٥هـ) الذي حصل على إجازات كثيرة من علماء الحرمين بعد أن درس عليهم[٤]. ومحمد بن سعيد بن علي بن كبن العدني (ت٨٤٢هـ) الذي قدم قبل حج سنة ٨٠١هـ وحضر عدداً من المجالس العلمية في الحرم المكي ، ونال من مدرسي هذه الحلق عدداً من الإجازات العلمية[٥]. وعلي

---

(١) الجندي. **السلوك**، ج٢، ص٤٠٠ .

(٢) **طبقات صلحاء اليمن**، ص١٢٠ .

(٣) الحبيشي. **تاريخ وصاب**، المسمى (الاعتبار في التواريخ والآثار)؛ تحقيق عبدالله الحبشي -ط١ - صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٧٩م، ص٢٤٣ . البريهي. **طبقات صلحاء اليمن**، ص٣٠ .

(٤) البريهي. **طبقات صلحاء اليمن**، ص٢٢١ .

(٥) السخاوي. **الضوء اللامع**، ج٧، ص٢٥٠ .

ابن محمد الرفدي المشهور بالشرعبي (ت٨٧١هـ) الذي أجاز له جماعة من الشيوخ الكبار بمكة [١]. وأحمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد البريهي (ت٨٢٥هـ) يأتي إلى مكة ويحصل على إجازات عدة من عدد من الفقهاء والمحدثين فيها بعد أن تتلمذ على أيديهم[٢]. هذا بالإضافة لعدد آخر من اليمنيين الذين نالوا من الإمام السخاوي إجازات مختلفة بمؤلفاته ومسموعاته بعد أن تتلمذوا عليه في مكة[٣]، أو طلبوها منه بالمراسلة[٤].. ولعلنا نكتفي هنا بإيراد نص لإجازة منحها الإمام السخاوي لأحد طلبة العلم اليمنيين وهو يحيى بن محمد بن صديق المرزوقي الزبيدي، وكان ممن جاور بالحرمين، ولقي السخاوي بمكة سنة ٨٩٣هـ وتتلمذ عليه كثيراً، يقول السخاوي عن هذه الإجازة[٥]: «وكتبت له إجازة في كراسة وصفته فيها بالشيخ الفاضل الأوحد الكامل المقبل على الخير علماً وعملاً والمشتمل على المحاسن اللائقة بالنبلاء، أعاد الله علي من بركاته، وزاد في معلوماته وحسناته، ونفعه ونفع به، ووصل أسباب الخيرات بسببه، ويسر له الطريق والرفيق ونشر عليه سحائب جوده وكرمه ليرتوي منها في الإرشاد والتحقيق. ممن قطن بالحرمين الشريفين، وفطن من العلوم لما تقر به العين من فقه وعربية وغيرهما، مما تنبه به للفضائل الزكية مع مصاحبته للأدب ومجانبته لكل من يبعده عن كل ما إليه انتدب، وتقنعه باليسير، وترفعه عما يشين ويضير، فكان بذلك منفرداً عن جل أقرانه،

---

(١) البريهي. **طبقات صلحاء اليمن**، ص٢٤٠ .

(٢) البريهي. **طبقات صلحاء اليمن**، ص٩٦ .

(٣) انظر : على سبيل المثال . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج١ ، ص٢٧٣ ، ج٣ ، ص١٤٥ ، ١٦٥ ، ٣٢٠ ، ج١٠ ، ص١٧٨ .

(٤) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٦ ، ص٩١ ، ج٨ ، ص٥٦ .

(٥) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج١٠ ، ص٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

متوحداً بالتوجه لعرفانه. وكنت ممن لازمني، وبالاستفادة ساومني».

ومن الطرق والأساليب التي انتهجها طلبة العلم في سبيل تحصيل العلوم في مكة المناقشات والمناظرات العلمية حول بعض المسائل الفقهية أو الاختلافات المذهبية والعقائدية مع بعض العلماء وطلبة العلم[1]، وبالرغم من قلة حصول مثل ذلك خلال الحقبة التاريخية التي نتحدث عنها؛ إلا أن ما يحصل عليه الطالب من معلومات خلال هذه النقاشات والمناظرات كان ذا قيمة علمية عادت بالنفع والفائدة، حتى أن الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني قد ضمن كتابه المشهور ، والمعروف باسم البيان ، الكثير من المسائل والتعليقات التي دارت في المناظرة التي أقامها مع أحد العلماء في مكة[2].

ومن أساليب التحصيل العلمي التي انتهجها طلبة العلم اليمنيون في مكة، ما قاموا به من جهود في سبيل نسخ الكتب المهمة والحصول على كتب مختلفة. ولتحقيق ذلك، فإننا نرى كثيرًا من طلبة العلم قد تعاهدوا نسخ الكتب، وضبطها، ومطابقتها مع النسخ الأصلية، أو شرائها، فهذا - مثلاً - أحمد بن أبي بكر بن أحمد ابن محمد بن يحيى البريهي (ت٨٢٥هـ) - الذي سافر إلى مكة في أوائل القرن التاسع الهجري - يقول عنه البريهي ، وهو يتحدث عن تواجده في مكة[3]: "وكان معظم قوته من أجرته على تحصيل كتاب الله تعالى وكتب الحديث والفقه ، فإذا جمع من ذلك ما يسد به خلته حصل لنفسه كتباً كثيرة بخطه، وبورك له في عمره، واجتمع له جملة صالحة من الكتب النفيسة، كتبها وحشاها وضبطها أحسن ضبط

---

(١) الجندي . **السلوك** ، ج١ ، ص٢٩٥ . البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٣١٤ .

(٢) الجندي . **السلوك** ، ج١ ، ص٢٩٥ .

(٣) **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٩٦ .

حتى صارت كتبه أمهات كتب أهل الوقت . وكذلك علي بن أبي بكر بن علي بن محمد الناشري (ت٨٤٤هـ) الذي جاء إلى مكة في شبيبته ، وكان ممن كتب بخطه الكثير من الكتب المهمة[١] . وحسين بن صديق بن حسين الأهدل الذي درس على الإمام السخاوي بعد سنة ٨٨٠هـ بعد أن كتب تصانيفه بخطه وقرأها على مؤلفها ، ثم خرج بها إلى اليمن[٢] . ومحمد بن أبي بكر بن عيسى الحرازي المشهور بالرعياني (ت٨٥١هـ) ممن رحل إلى مكة وجاور ، وقد حصّل كتباً كثيرة بخطه ، ضبطها أحسن ضبط[٣] . وكان بعضهم ينسخ الكتاب أو يشتريه ثم يطلب من العالم الذي يدرّسه إياه إثبات خطه عليه بالإجازة[٤] . من جانب آخر فقد جعل عدد من الوافدين اليمنيين إلى مكة من النسخ بالأجرة مصدراً للمعيشة ، وفي الوقت نفسه سبيلاً للحصول على بعض الكتب والمصنفات المهمة[٥] .

الجدير بالذكر أن عدداً من طلبة العلم القادمين إلى مكة من اليمن قد جاءوا يحملون معهم توصيات علمية من بعض علماء بلادهم البارزين ، تبرز التوصيات مكانتهم العلمية ، وتؤكد حرصهم على طلب العلم ، ومن ذلك - على سبيل المثال - تلك التوصية التي أرسلها حمزة بن عبد الله بن محمد الناشري إلى الإمام السخاوي وهو في مكة يزكي فيها أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن جعمان عندما وفد

---

(١) الخزرجي . **العقد الفاخر الحسن في طبقات أعيان أهل اليمن** ، مخطوط ، نسخة مصورة بقسم المخطوطات ، المكتبة المركزية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، رقم (٥٧٣١) ميكروفلم . ق١١ ب . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٥ ، ص٢٠٥ .

(٢) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٣ ، ص١٤٥ . العيدروسي . **النور السافر** ، ص٢٧ .

(٣) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٢٣١ .

(٤) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٦ ، ص٩١ .

(٥) المصدر السابق، ج٢ ، ص٢٨ ، ج٥ ، ص١٥٤ .

إلى مكة في سبيل طلب العلم . يقول السخاوي عن هذا الطالب[١]: "ثم سافر للحج في سنة سبع وتسعين ولقيني في ذي الحجة منها ومعه خط حمزة بأنه رجل صالح فقيه عالم عارف فاضل أديب ، أحد المفتين المدرسين بزبيد ، يحب العلم والعلماء، فتفضلوا وَٱلحَظوه بعين العناية ، وارفعوا قدره، فإنه أهل فضل ، كما هو الظن فيكم، جزاكم الله خيراً وأحسن إليكم".

كما يلقى طلبة العلم القادمون من اليمن إلى مكة مكانة متميزة وتقديراً كبيراً من العلماء في مكة ، فهذا عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الديبع(ت٩٤٤هـ) يتحدث عن رحلته إلى مكة للحج سنة ٨٩٦هـ ، وبقائه فيها السنة التي تلتها لطلب العلم ، يقول - بعد أن ذكر تتلمذه على الإمام السخاوي -[٢]: "وكان يجلني ، ويشير إليّ ، ويعظمني ويقدمني على سائر الطلبة ويؤثرني ، ويحسن إليّ كثيراً . جزاه الله عني خير الجزاء" . ولا شك أن حرصهم على الطلب ، وسعيهم الحثيث في سبيل تحصيل العلم ومقابلة العلماء والتتلمذ على أيديهم خير مؤثر في هذه المكانة التي نالوها بين أوساط المتعلمين في مكة حينذاك ، وهذا ما يؤكده بالفعل السخاوي عند ترجمته لابن الديبع المذكور ، حيث يقول السخاوي - بعد أن ذكر تتلمذه عليه[٣]: "وهو فاضل يقظ راغب في التحصيل والاستفادة نفع الله به". وعندما قدم الفقيه محمد بن عبد الله الكاهلي (ت٨٣٩هـ) وجاور في مكة، لقي تقديراً كبيراً من العلماء فيها ، وطمعوا في اجتذابه للإقامة في مكة بشتى السبل،

(١) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٢ ، ص٨١ .

(٢) ابن الديبع . **بغية المستفيد** ، ص٢٣١ .

(٣) **الضوء اللامع** . ج٤ ، ص١٠٥ .

لكنه آثر العودة لبلاده مرة أخرى بعد أن تتلمذ على عدد من العلماء المبرزين[1]. من جانب آخر، فإننا نلاحظ استمرار التواصل العلمي بين العلماء في مكة وطلابهم اليمنيين، فتبقى العلاقات قائمة بالرغم من عودة هؤلاء الطلاب إلى بلادهم[2]، وهذا تأكيد على قوة الروابط العلمية بين مكة واليمن ، ودليل على تميز هؤلاء الطلاب ومكانتهم العلمية آنذاك .

ثالثاً : آثار رحلات اليمنيين إلى مكة على الحياة العلمية في اليمن .

إن رحلة عدد كبير من أبناء اليمن إلى مكة وعودتهم محملين بما بحثوا عنه من علوم، وما وجدوه من معارف ، تنوعت أشكالها ، واختلفت مشاربها ، وتباينت مصادرها ، قد أثرت جوانب عدة من ميادين الحياة العلمية في بلاد اليمن ، وأدت إلى مزيد من ازدهار العلوم وتقدمها ، بعد أن دفع هؤلاء الطلاب العائدين من مكة عجلة التعليم في بلادهم ، وأسهموا في نشر العلم والثقافة في أصقاعه المختلفة . وسوف نبين في الصفحات التالية جوانب تأثير هذه الرحلات ، سواء كان ذلك على هؤلاء الطلاب شخصياً ، أو في آفاق الحياة العلمية المختلفة في بلادهم .

١ - سعة الأفق المعرفي وارتفاع المكانة العلمية .

لقد عاد هؤلاء الطلاب الراحلون إلى مكة، وقد زاد رصيدهم المعرفي، وتوسعت آفاقهم العلمية توسعاً ملحوظاً بما أضافوه من علوم لمخزونهم الثقافي السابق ، فهذا إبراهيم بن عمر بن علي العلوي (ت٧٥٢هـ)، قد أصبح بعد عودته من الرحلة العلمية أحد الأئمة الأعلام ، خصوصاً في علم الحديث، حيث انتهت إليه رئاسة هذا العلم

---

(١) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٩٤ .

(٢) تقي الدين ابن فهد . **لحظ الألحاظ** ، ص٣٠٢ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج١٠، ص١٧٨ .

في بلاد اليمن ، وكان قد أخذه على جماعة من كبار علماء مكة وغيرهم[١]. وكان علي بن أحمد بن محمد بن سالم الزبيدي (ت ٨١٨هـ) قد أقام بمكة مجاوراً ثلاثين سنة منكباً للتلقي على العلماء فيها، فبرز في علوم كثيرة ، منها : الفقه والفرائض والحساب والنحو والعروض[٢].وممن أثّرت رحلته العلمية إلى مكة في زيادة رصيده العلمي - أيضاً - نفيس الدين سليمان بن إبراهيم بن عمر العلوي (ت٨٢٥هـ) شيخ المحدثين وحافظهم ببلاد اليمن ، وهو ممن استفاد كثيراً في مكة[٣]، قال عنه البريهي[٤]: " وقد أثنى العلماء كافة من أهل الوقت على الإمام نفيس الدين وأجمع من كان من أهل غير وقته من بعدهم على أنه لم يكن في اليمن أعلم منه في الحديث وطرقه ومعرفة رجاله " . وقال الشرجي مبيناً أثر رحلته العلمية إلى مكة على تفوقه العلمي[٥]: " وأخذ بمكة على جماعة من علماء الحديث ، وإليه انتهت الرحلة من نواحي اليمن في هذا الفن " . ومحمد بن أبي بكر بن محمد بن صالح الهمداني المعروف بابن الخياط (ت٨٣٩هـ) وكان قد رحل إلى مكة ، ودرس على يد عدد من العلماء فيها ، وعاد منها بعلوم جمة ، وقد أصبح بعد رحلته العلمية من الفقهاء المعتبرين والأئمة الحفاظ المحققين في اليمن ، كما انتهت إليه رئاسة علم الحديث فيه[٦]. ومنهم محمد بن عبد الله الكاهلي (ت٨٣٩هـ) الذي طلب العلم في

---

(١) الشرجي . **طبقات الخواص** ، ص٥٤ .

(٢) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٥ ، ص١٨٢ .

(٣) الشرجي . **طبقات الخواص** ، ص٥٥ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٣ ، ص٢٥٩ . بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ق٢ ، ص٩٤ - ٩٥ .

(٤) **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٢٠٧ .

(٥) **طبقات الخواص** ، ص٥٥ .

(٦) تقي الدين ابن فهد . **لحظ الألحاظ** ، ج١ ، ص٣٠١ - ٣٠٢ . البريهي . **طبقات صلحاء اليمن**، ص٢٢٩ . السخاوي. **الضوء اللامع**، ج٧ ، ص١٩٤ .

مكة على كبار علمائها في أثناء مجاورته فيها حتى برز وتفوق . يصفه البريهي بقوله[1]: " كان رحمه الله فقيهاً ، سلمت إليه الرئاسة في عصره ببلده في الفقه على الإطلاق . أجمع أهل وقته على جلالته وبراعته ، وأنه ممن لا يجارى في ذلك ولا يمارى، فكان المرجوع إليه في المعضلات من المسائل الفقهيات ، والمعول عليه في حل مشكلات الفروع ، وله في ذلك الباع الأطول " . وقال البريهي عن علي بن سعيد الزبيدي (ت٨٩٣هـ) وكان ممن قرأ كثيراً في مكة ـ [2]: " وكان إماماً فاضلاً عالماً بأنواع العلوم من الفقه والحديث والعربية والحساب والمنطق والمعاني والبيان وغير ذلك " .

٢- الإسهام في نشر العلم والثقافة .

لم يبخل هؤلاء العائدون من القيام بدورهم في نشر العلم والثقافة في بلادهم بعد العودة إليها ، إدراكاً منهم لحجم المسؤولية المناطة بهم ، وإيماناً بضرورة بذل ما يحملون من علم جديد في الأوساط العلمية اليمنية ؛ فضلاً عن الانصياع لتحقيق رغبات أبناء اليمن الذين يتقاطرون على القادم من الرحلة ، ويزدحمون عليه من بلدان مختلفة ، رغبة في تلقي الجديد والمفيد من العلوم على أيديهم . ولعل مما عمم الفائدة العلمية التي قدم بها أبناء اليمن من مكة ذلك الدور الملحوظ الذي قام به من تتلمذ عليهم ، وذلك من خلال نشر ما تلقوه من علوم جديدة على أيدي هؤلاء العلماء اليمنيين القادمين من مكة في مدنهم وقراهم بعد عودتهم إليها[3]. من جانب آخر، فإن عدم اقتصار حضور هذه الدروس التي يقيمها القادمون من مكة على

---

(١) **طبقات صلحاء اليمن**، ص٩٤ .

(٢) المصدر السابق، ص٢٤٧ .

(٣) الجندي ، **السلوك**، ج١ ، ص١٥٥ .

الطلاب فقط ، وتعديها إلى العلماء والفقهاء والقضاة وعلية القوم[1]؛ ليؤكد قيمة العلم الذي جاء به هؤلاء العلماء من مكة وأهميته ، ومدى الحاجة إليه في بلاد اليمن آنذاك .

ومن هؤلاء الطلاب الذين رحلوا من اليمن إلى مكة لطلب العلم ثم عادوا ليشاركوا بفعالية في سبيل نشر العلم والثقافة في بلادهم على سبيل المثال: أحمد ابن عبد الله بن محمد البريهي السكسكي (ت٥٨٦هـ) الذي أصبح بعد شيخه يحيى ابن أبي الخير العمراني صدر الفقهاء ومقصد الطلاب ، وكان عارفاً بالفقه والحديث والنحو واللغة وأصول الدين . وكان قد نزل مدينة الجند[2] بعد عودته من مكة فلازمه جمع كثير من الطلاب وسمعوا عليه[3]. ومحمد بن زيد بن عبد الله بن حسان الذي ذكر ابن سمرة الجعدي أنه لازمه بعد عودته من مكة سنة ٥٨٤هـ لمدة ثلاث سنوات[4]، وهذا دليل على أهمية ما قدم به ابن حسان من علم إلى اليمن ، ومدى استفادته العلمية في مكة . ومحمد بن إبراهيم بن علي الفشلي (ت٦٦١هـ) الذي رحل إلى مكة ، وأخذ عن علمائها ، خاصة في علم الحديث، حيث أصبح إماماً فيه ، ولما رجع أخذ هذا العلم عنه كثير من أهل اليمن[5]. وعلي بن إبراهيم بن

---

(١) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٩٥ .

(٢) الجند . مدينة قديمة . تقع في الشمال الشرقي من مدينة تعز ، وتبعد عنها بحوالي ٢٢كم . بنى بها معاذ بن جبل رضي الله عنه أول مسجد في بلاد اليمن . (ياقوت الحموي . **معجم البلدان** ، ج٢ ، ص١٦٩ . إبراهيم المقحفي . **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ص١٣٠) .

(٣) الجندي . **السلوك** ، ج١ ، ص٣١٨ - ٣١٩ .

(٤) **طبقات فقهاء اليمن** ، ص٢٣٣ .

(٥) الخزرجي . **العقود اللؤلؤية** ، ج١ ، ص٥١ - ٥٢ .

محمد بن حسين البجلي (ت في ق٨هـ) الذي قال عنه الجندي[١]: " خرج من بين يديه نحو من مئة مدرس ولم يكن في مدرسي تهامة ولا الجبال المتأخرين أكثر أصحاباً منه " . وأبو بكر بن محمد بن صالح الهمداني المعروف بابن الخياط (ت٨١١هـ) حيث بيّن السخاوي أثره العلمي في اليمن ، فقال[٢]: " ولم يزل متصديا لنشر العلم ببلده حتى أخذ عنه الجم الغفير، وصار علماء اليمن تلامذته ونفع الله به في الفقه والحديث والأصلين والمنطق وغيرها". ونفيس الدين سليمان بن إبراهيم بن عمر العلوي (ت٨٢٥هـ) الذي ارتحل إليه عدد كبير من طلبة العلم من أماكن مختلفة من اليمن لسماع الحديث عليه وأخذ الفقه عنه[٣]. وعبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن سالم (ت٨٣٩هـ) الذي يقول عنه البريهي[٤]: " لما عاد من مكة المشرفة إلى بلده، فسكن المكان الذي يسمى جبا وهو المعروف بمعشار حصن خدد[٥]، فقصده الطلبة للعلم من كل مكان ، فأفتى ودرس وانتفع به أهل ذلك القطر ". ومحمد بن أبي بكر بن محمد بن صالح الهمداني المعروف بابن الخياط (ت٨٣٩هـ) الذي تزاحمت على مجلسه الطلبة ، بل قصد هذا المجلس عدد من العلماء رغبة في التتلمذ عليه في علم الحديث[٦]. وعبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر الناشري

---

(١) **السلوك** ، ج٢ ، ص٣٦٧ .

(٢) **الضوء اللامع** ، ج١١ ، ص٧٩ .

(٣) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٣ ، ص٢٥٩ .

(٤) **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٦٨ .

(٥) خَدِد : حصن أثري في عزلة العارضة من جبل حبيش وأعمال إب . (إبراهيم المقحفي . **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ص٢١١) .

(٦) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٢٢٩ .

(ت ٨٤١هـ) وكان ممن تخصص بعلم القراءات ، وأخذها عن أكثر من واحد في مكة، فلما عاد إلى اليمن تصدر في هذا العلم بعد أن فرّغ نفسه لذلك ، فانتفع به الكثير من طلبة هذا العلم[١]. وعطية بن عبد الرزاق بن علي النجدي (ت ٨٨٨هـ) الذي تصدر للتدريس في ذي جبلة[٢] بعد عودته من مكة ، فقصده الطلاب للتتلمذ عليه ، وبه انتفع عدد كبير من طلبة العلم[٣].

٣ - إدخال كتب ومصنفات جديدة :

وكان أثر الطلاب الراحلين إلى مكة أكثر عمقاً وأعم فائدة بما جلبوا معهم من كتب نقلوها عن مصنفيها مباشرة أو عن رواتها ، فأسهموا بذلك في إدخال كتب جديدة بين أوساط المتعلمين في اليمن ، كما شاركوا في نشرها من خلال تدريسها للطلاب ، ومنحهم الإجازة بروايتها . ومن أمثلة ذلك: أبو العباس بن أبي عمر القزويني (ولد سنة ٦٣٩هـ) الذي أقام مع والده في مكة سنين كثيرة ، وتتلمذ فيها على جمع من العلماء . يقول عنه الجندي[٤]: "وخرجت من عدن[٥] وهو بها غير أنه قد كبر وهرم ، والذي يدخل لقصد استماع الكتب من الحديث والتفسير وغيرها إذا

---

(١) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٥ ، ص٥٨ .

(٢) ذي جبلة : مدينة بناها علي بن محمد الصليحي سنة ٤٥٨هـ . وهي في مخلاف جعفر تحت حصن التعكر . (ابن المجاور . **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز** ، ص١٦٨ . إبراهيم المقحفي . **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ص١٠٨) .

(٣) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص١٢٤ .

(٤) **السلوك** ، ج٢ ، ص٤٢٨ .

(٥) عدن : ميناء يمني مشهور قرب مضيق باب المندب . وهي مرسى بلاد اليمن على المحيط الهندي ، وتحيط بها المياه من ثلاث جهات . وصفها ابن بطوطة: بأنها مدينة كبيرة . (ابن المجاور . **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز** ، ص١١٠ . ابن بطوطة . **الرحلة** ، ص٢٥١).

استرشد عمن يأخذ ذلك لم يرشد إلى غيره ، فيأتيه فيأخذ عنه . وعنه أخذت وسيط الواحدي في التفسير ومنظومة الحاجبية ، وإجازة عامة ، وقل ما رأيت مثله في هذا الوقت : صبوراً على الإقراء ، موافقاً للطالب على غرضه " . ومحمد بن عبد الله بن عمير العريقي (عاش في القرن السادس الهجري) الذي انتشر عنه في بعض أصقاع اليمن كتاب المعتمد في الخلاف للبندنيجي وكتاب مختصر المزني ، بعد أن تلقاهما في مكة[(١)] . ومحمد بن طاهر بن يحيى بن أبي الخير العمراني (ولد سنة ٥٤٦هـ) الذي جلب سيرة ابن هشام معه من مكة بعد أن درسها على بعض العلماء فيها ، وعنه انتشرت بين الطلاب في مدينة عدن[(٢)] . وعبد الرحمن بن سعيد بن علي بن أسعد (ت٦٩٠هـ) وكان أول من أدخل كتاب العزيز شرح الوجيز إلى اليمن[(٣)] . وعمر بن حمير بن عبد الحميد التباعي السحولي المخادري (ت بعد ٦٩٠هـ) الذي جلب كتب الإمام الغزالي في فروع الفقه كالوسيط والوجيز إلى اليمن بعد تتلمذه على راويها محمد بن مفلح العجيبي بمكة[(٤)] . وعثمان بن محمد بن علي الحساني الحميري (ت٧١٠هـ) الذي أدخل كتاب الرقائق لعبد الله بن المبارك ، يقول الجندي[(٥)]: "وعنه أروي كتاب الرقائق لابن المبارك، إذ قرأت عليه غالبه في منزله

---

(١) الجندي . **السلوك** ، ج١ ، ص٢٤٠ .

(٢) المصدر السابق. ص٢٧٧ .

(٣) المصدر السابق. ج٢ ، ص٢٤٣ .

وكتاب العزيز من تأليف الإمام عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي المتوفى سنة ٦٢٣هـ، وهو شرح لكتاب الوجيز للإمام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ . (حاجي خليفة . **كشف الظنون**.- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ، ج٢ ، ص٢٠٠٢ - ٢٠٠٣) .

(٤) الجندي . **السلوك** ، ج١ ، ص٣٤١ .

(٥) **السلوك** ، ج٢ ، ص٢٠٠ .

هذا ، وقد قدم عائداً من الحج سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وذلك أنني كنت يومئذ بمسجد عكار[1] أدرس فيه ، فبلغني قدومه من الحج ، وله علي من التفضل كثير ، فوصلت إليه إلى هذا المنزل ، وسلمت عليه ، وسألته ما سمع بمكة ، فأخرج الكتاب المذكور وناولنيه فأعجبني فأقمت عنده أقرأه أياماً ". وأبو بكر بن محمد بن عمر الهزاز (ت٨٠٧هـ) الذي انتسخ وهو في مكة بعض كتب ابن عربي ، وسعى في نشرها في بلاد اليمن بعد عودته إليها[2]. وفي أواخر القرن التاسع الهجري انتشرت في اليمن على نطاق واسع كتب الإمام السخاوي بعد أن تتلمذ عليه في مكة عدد كبير من أبناء اليمن ، ومنهم من نسخها عنه ، ونقلها لبلاده بعد أن حصلوا على إجازات علمية فيها ، كما ذكرنا سلفاً .

من جانب آخر فقد كانت مكة حلقة وصل بين اليمن والأمصار الإسلامية الأخرى ، تعبر من خلالها الكتب القادمة من هذه الأمصار لتستقر بأيدي الطلاب في اليمن . ويصور لنا البريهي أنموذجاً من هذا التواصل في ترجمته لمحمد بن أبي بكر بن عيسى الحرازي المشهور بالرعياني فقال . عندما ذكر حج هذا الفقيه مع ابنه عبد الرحمن[3]: " ووافق سفرهما وصول بعض ثقات قاضي مصر كتاب التحرير وشرح المنظومة لأبي زرعة من رجل يسمى الفقيه أبا بكر السحولي ، قد أوقف هذين الكتابين على من يقرأ فيهما بمدرسة شنين[4] وبمدينة

---

(١) عكار: قرية من ضواحي مدينة ذي جبلة . (إبراهيم المقحفي . **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ص٤٥٧) .

(٢) الجندي . **السلوك** ، ج٢ ، ص١٢٠ .

(٣) طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٣٢ .

(٤) شَنِين : قرية من عزلة السحول من ناحية المخادر وأعمال إب . (إبراهيم المقحفي. **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ص٦٣٦٤ . إسماعيل . **المدارس اليمنية** ، ص١٨٩) .

إب[١]، فأرسل بهما الثقة مع هذا الفقيه جمال الدين فحملهما ووصل بهما إلى مدينة إب[٢]. ولم يكن باليمن شيء من هذين الكتابين ، فانتفع بهما الطلبة في المكانين " .

٤- تنمية المكتبات اليمنية العامة والخاصة .

لقد كان لرحلات الطلاب اليمنيين إلى مكة أثر بالغ في تنمية المكتبة اليمنية وتزويدها بالجديد من الكتب والمصنفات التي استجدت على الساحة العلمية الإسلامية ، حيث كانت مكة آنذاك سوقاً رائجاً للكتب ، يدفع إليها بالجديد من الكتب التي تصدر في بعض الأقاليم الإسلامية[٣]، وترسل لأسواق الكتب فيها نسخ من بعض الكتب المهمة للبيع[٤]، كما ازدهرت فيها الوراقة بشتى صورها خلال العصر المملوكي[٥].

وتؤكد المعلومات التي بين أيدينا اهتمام من وفدوا من اليمن إلى مكة بالكتاب، وحرصهم على انتهاج الطرق المختلفة في سبيل تحصيله والاعتناء به؛ سعياً منهم لتكوين مكتبات خاصة بهم ، أو جلب الكتب ووقفها على طلبة العلم في أحد المواقع في بلادهم . وقد بيّنا في حديثنا عن طرق استفادة اليمنيين العلمية في مكة

(١) إبّ : مدينة تقع إلى الجنوب من صنعاء بمسافة ١٤٠كم ، وهي في السفح الغربي لجبل ريمان من بعدان . (ياقوت الحموي . **معجم البلدان** ، ج١ ، ص٦٤ . إبراهيم المقحفي . **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ص٦) .

(٢) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص١١٥ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٥ ، ص١٣٤ .

(٣) الذهبي . **تاريخ الإسلام** ، ج٥٠ ، ص٣٤٣ .

(٤) الجندي . **السلوك** ، ج١ ، ص٣٢١ .

(٥) لمزيد من المعلومات ، انظر : عبد العزيز السنيدي . **الوراقون وأثرهم على الحياة العلمية في مكة خلال العصر المملوكي** .

وأساليبها مدى الجهود التي بذلوها في مكة في سبيل نسخ الكتب والحصول عليها . ولذا فإننا سنحاول في هذا الموضع الاقتصار على ذكر من تكونت لديهم مكتبات خاصة من الراحلين إلى مكة ؛ فضلاً عن بيان أثر هؤلاء في وقف الكتب في أنحاء اليمن المختلفة .

وممن أثروا هذا الجانب العلمي المهم ، فقاموا بوقف بعض الكتب في عدد من المواقع باليمن ، ممن ذكرت لهم رحلة علمية إلى مكة على سبيل المثال: أحمد بن محمد بن عبد الله بن سلمة البريهي السكسكي (ت ٥٨٦هـ)، وكان ممن حصل كتباً مفيدة وعديدة ، ضبطها وحققها ، ويبدو أن كتب هذا الإمام كثيرة ، بحيث وقف كتباً في مدينة الجند ، وأخرى في مدينة ذي جبلة [١]، قال الجندي مبيناً حجم هذه الكتب وطريقته في جمعها وطبيعة وقفها [٢]: " وقف كتباً عديدة على الطلبة من خطه وضبطه ، يكتب على كل كتاب منها :

هذا الكتاب لوجه الله موقوف　　منا إلى الطالب السني مصروف

ما للأشاعرة الضلال في حسبي　　حق ولا للذي في الزيغ معروف"

وممن وقف كتبه أيضاً بطال بن أحمد بن محمد الركبي (ت٦٣٣هـ) وذلك في مدرسته[٣] التي تقع في قرية ذي يعمد من أعمال الدملوة بتعز[٤]. وعلي بن يوسف ابن عمر العنقبي (ت في أوائل ق٧هـ) الذي ابتنى ثلاث مدارس بوصاب[٥]، واجتلب

---

(١) الجندي . **السلوك** ، ج١ ، ص٣١٨ - ٣٢٢ .

(٢) **السلوك** . ج١ ، ص٣١٩ .

(٣) الجندي . **السلوك** ، ج٢ ، ص٤٠١ .

(٤) إسماعيل الأكوع . **المدارس في اليمن** ، ص١١٧ .

(٥) وصاب : اسم جبل يحاذي زبيد . فيه عدة بلاد وقرى وحصون . (ياقوت الحموي. **معجم البلدان** ، ج٥ ، ص٣٧٨) .

كتباً كثيرة ووقفها على هذه المدارس[١]. وعمر بن حمير بن عبد الحميد التباعي السحولي المخادري (ت بعد ٦٩٠هـ)، حيث كانت له كتب موقوفة في قرية المخادر[٢]، منها بعض الكتب التي تحمل إجازة بعض العلماء له برواياتها[٣]. وجوهر بن عبد الله المعروف بالرضواني (ت٧٥٥هـ) الذي ابتنى بزبيد بعد رجوعه من مكة مدرسة ووقف بها كتباً ، كما وقف كتباً أخرى في مسجد بناه في مغربة تعز[٤]، وكذلك في المدرسة التي بناها في حافة الملح من مغربة تعز[٥].

أما من كونوا لهم مكتبات خاصة من الراحلين لمكة فمنهم ـ على سبيل المثال: سليمان بن إبراهيم بن عمر العلوي (ت٨٢٥هـ) وكان ممن تكونت لديه مكتبة نفيسة عُني بضبط محتوياتها من الكتب ومقابلتها بالنسخ الأصلية[٦]. وعلي بن عطية الدملوي (ت٨٣٦هـ) الذي ساعده توافر المادة في تحصيل الكثير من الكتب ، مكوناً منها مكتبة ركز فيها على تخصيص الحديث والفقه[٧]. ومحمد بن أبي بكر بن عيسى الحرازي المشهور بالرعياني (٨٥١هـ) وكان ممن تكونت لديه مكتبة خاصة ، استطاع جمعها من خلال نسخ الكتب بنفسه[٨]. ومحمد بن أبي بكر بن محمد بن

---

(١) الجندي . **السلوك** ، ج٢ ، ص٢٩٢ .

(٢) المخادر : بلدة شمالي مدينة إب بمسافة ٢٠ كم ، وهي مدينة أثرية قديمة . (إبراهيم المقحفي. **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ص٥٧١) .

(٣) الجندي . **السلوك** ، ج١ ، ص٣٤١ .

(٤) الأفضل الرسولي . **العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية** . مخطوط ، دار الكتب المصرية ، رقم (٣٥١) **تاريخ** ، ق١٥ب . الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٣ ، ص٤٤٨ ـ ٤٤٩ .

(٥) **الوقفية الغسانية** ، ص٥٩ .

(٦) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٣ ، ص٢٥٩ .

(٧) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص١٠٣ .

(٨) المصدر السابق. ص٢٣١ .

صالح الهمداني المعروف بابن الخياط (ت٨٣٩هـ) الذي كانت له كتب كثيرة ، اجتهد في جمعها وتحصيلها وضبطها ، وكانت تربو على سبعمائة مجلد[١]. وأحمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد البريهي (ت٨٢٥هـ) الذي اجتمعت له ـ كما سبق أن ذكرنا ـ جملة صالحة من الكتب النفيسة التي صارت مرجعاً مهماً لطلبة العلم في زمنه[٢].

كما شارك الراحلون إلى مكة بعد عودتهم لليمن في دعم المكتبة اليمنية بما صنفوه من كتب في بعض المجالات العلمية ، حيث عادوا إلى بلادهم وقد اكتمل تأهيلهم العلمي ، بعد إثراء ثقافتهم بما اكتسبوه من معارف وعلوم ، تعددت أنواعها وتباينت مصادرها ؛ فضلاً عن أثر هذه الرحلات في صقل مواهبهم ، وتنمية قدراتهم ، وسعة أفقهم ، وتعميق فكرهم ، وتبلور ثقافتهم . وممن شارك في إثراء المكتبة اليمنية بمصنفاته من الراحلين في طلب العلم من اليمن إلى مكة ـ مثلاً: طاهر بن يحيى بن أبي الخير العمراني (٥٨٧هـ) وله مصنفات منها : مقاصد اللمع ، وهو في أصول الفقه ، وكتاب جلاء الفِكَر في الرد على نفاة القدر ، وكتاب مناقب الشافعي ، وكتاب معونة الطلاب في معاني كلام الشهاب[٣]. وبطال بن أحمد بن محمد بن سليمان الركبي (ت٦٣٣هـ)الذي صنف كتاب المستعذب المتضمن لشرح غريب ألفاظ المهذب[٤]، وكتاب الأربعون حديثا ، استخرجها من الأحاديث الحسان ،

---

(١) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٢٣٠ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٧ ، ص١٩٥ .

(٢) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٩٦ .

(٣) الجندي . **السلوك** ، ج١ ، ص٣٣٨ .

(٤) كتاب **المهذب في فروع الفقه الشافعي** للشيخ الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الشيرازي الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٧٦هـ . بدأ في تصنيفه سنة ٤٥٥هـ ، وفرغ منه في جمادى الآخرة سنة ٤٦٩هـ. وهو كتاب جليل القدر. (حاجي خليفة . **كشف الظنون** ، ج٢ ، ص١٩١٢).

وكتاب الصحاح الجامعة لما يستحب درسه عند المساء والصباح[1]. وعلي بن أبي بكر الأزرق بن خليفة الهمداني (ت٨٠٩هـ) وله الكثير من المصنفات والشروح في أصول الفقه الشافعي وفروعه ، وفي الفرائض ، ومنها : كتاب نفائس الأحكام ، وكتاب شرح التنبيه ، وشرح الكافي في الفرائض ، وغيرها[2]. وأحمد بن عبد الرحمن بن عمر الحبيشي (ت٨٢٢هـ) الذي صنف كتباً كثيرة منها : الإرشاد في سباعيات الأعداد ، وكتاب رياضة النفوس الزكية في فضل الجوع وترك اللذائذ الشهية، وكتاب تحفة الطالبين وتذكرة السالكين ، وكتاب التعريف في بيان أحكام التأليف، ومنها جزء مختصر في مدح الطول وذم القصر ، وغير ذلك من المصنفات، وله ديوان شعر في مجلد ضخم[3]. وأحمد بن محمد الربيعي الحميري المشهور بالشلفي (ت٨٣٢هـ)الذي كتب منظومة في علم الفرائض ، سماها: كفاية الرائض في علم الفرائض"، ثم شرحها وسمى الشرح بـ " نهاية الخائض في شرح كفاية الرائض في علم الفرائض"[4]. وحسن بن محمد بن سعيد الشظبي المحرزي (ت٨٣٥هـ) الذي صنف كتاباً مختصراً وجامعاً في النحو سماه " تبصرة أولي الألباب في ضوابط الإعراب " وكان هذا المصنف مما استحسنه علماء النحو بمدينة صنعاء وغيرها[5]. و عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن سالم (ت٨٣٩هـ) قال عنه البريهي[6]: "وألف

(١) الجندي . **السلوك** ، ج٢ ، ص٤٠١ .

(٢) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٥ ، ص٢٠٠ .

(٣) الحبيشي . **تاريخ وصاب**، ص٢٤٣ . البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٩٦ .

(٤) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٢١١ .

(٥) المصدر السابق، ص٢٢١ .

(٦) المصدر السابق، ص٦٨ .

كتباً كثيرة، منها: لوامع الأنوار وجوامع الأسرار في مناجاة العزيز الغفار لقضاء الحوائج والأوطار، ومنها كتاب: الشفاء التام من الآلام والأسقام والأسماء العظام، وله غير ذلك". وعلي بن أبي بكر بن علي بن محمد الناشري (ت٨٤٤هـ) وله من الكتب: الثمر اليانع وتحفة النافع، والجواهر المثمنات المستخرج من الشروح والروضة والمهمات، وروضة الناظر في أخبار دولة الملك الناصر، وغيرها[١]. وحسين بن عبد الرحمن بن محمد الأهدل (ت٨٥٥هـ) وقد ألف الكثير من الكتب في الحديث والعقيدة والتاريخ وغيرها، بحيث تعدى عددها العشرة مصنفات[٢]. ومحمد بن أحمد بن أبي بكر بن علي الناشري (ت٨٧٣ هـ) صنف كتاباً في الفقه في مجلدين، سماه: " الإيضاح " اشتهر ذكره في اليمن وغيرها، وتلقاه الناس بالقبول التام. يقول البريهي موضحاً ذلك[٣]: " أتى فيه بمعظم الغرائب والنكت على بعض ألفاظ الحاوي، جمع فيه متفرق الكلام كالتحرير لأبي زرعة والمفتاح لابن كبن والأذرعي والجواهر والمهمات وشرح الحاوي وغير ذلك من كلام المتأخرين من أهل العصر وغيرهم. وقد اشتهر وانتشر، وتلقاه الناس عامة في اليمن ومكة والشام بالقبول، ومدحه بعض الفضلاء البلغاء، فقال: هو كتاب عدم نظيره فيما مضى من الأيام وعز وجود مثله في الدهور والأعوام، لم ينسج على منواله، ولا يتصدى أحد من العلماء لمثاله، فما لمثله في الوجود وجود، كما أن نظير مؤلفه في العالم لمفقود". ويحيى بن

(١) نجم الدين ابن فهد. **معجم الشيوخ**، ص١٧٠. السخاوي. **الضوء اللامع**، ج٥، ص٢٠٥؛ عبد الله بن محمد الحبشي. **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن**، ص٢٢٣.

(٢) نجم الدين ابن فهد. **معجم الشيوخ**، ص١٠٨. السخاوي. **الضوء اللامع**، ج٣، ص١٤٦- ١٤٧.

(٣) **طبقات صلحاء اليمن**، ص٣١٧.

أبي بكر بن محمد العامري الحرضي (ت٨٩٣هـ) وله من الكتب: العدد فيما لا يستغني عنه أحد ، وهو في عمل اليوم والليلة ، وكتاب: غربال الزمان ، وهو في التاريخ ، وكتاب: بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص السير والمعجزات والشمائل، وكتاب: التحفة في الطب ، وكتاب: الرياض المستطابة في معرفة من روى الصحيحين من الصحابة[١]. وعبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الديبع (ت٩٤٤هـ) الذي قال عن نفسه ـ بعد أن ذكر رحلته إلى مكة وطلب العلم فيها[٢]: " ثم لما رجعت من الحج إلى وطني ألفت كتابي المسمى: كشف الكربة في شرح دعاء الإمام أبي حربة ، ثم ألفت بعده كتابي هذا المسمى: بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد"، وله مصنفات أخرى. بيد أن هناك طلبة علم آخرين تعاهدوا كتب سابقيهم بالشرح والتعليق والاختصار والإضافات العلمية المفيدة التي اكتسبوها من خلال تتلمذهم على كثير من العلماء المبرزين[٣].

٥- تولي الوظائف التعليمية :

كانت الرحلة العلمية التي قام بها عدد من الطلاب اليمنيين إلى مكة سبباً في تأهلهم بعد العودة لتولي عدد من المناصب والمهام العلمية والإدارية في بلادهم، حيث قدرت السلطات القائمة في اليمن آنذاك العلم الذي قدم به هؤلاء، وفضلتهم ـ في الغالب ـ على من اقتصروا من الطلاب على الرحلة الداخلية فقط . وقد تنوعت المناصب والمهام التي تولاها هؤلاء الراحلون ، ولكنها تركزت على الوظائف التي

(١) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج١٠ ، ص٢٢٤ .

(٢) **بغية المستفيد** ، ص٢٣١ .

(٣) البريهي. **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٩٦ ، ٣١٤ . الشرجي. **طبقات الخواص** ، ص٥٥ ، السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج١١ ، ص٧٨ .

تعتمد على المقدرة العلمية ، كالقضاء والفتوى والتدريس وبعض الوظائف الأخرى . وسوف نخصص الحديث في هذا الجانب على ما له من علاقة من هذه الوظائف والمهام بالحياة العلمية وتطورها في بلاد اليمن ، وبصفة خاصة مهنة التدريس ، سواء كان ذلك في المدارس أو المساجد أو غيرهما .

لقد بلغ عدد المدارس التي أنشئت في اليمن خلال الحقبة التي خصصناها بالدراسة حوالي مئة وسبعين مدرسة نظامية في أنحاء اليمن المختلفة(١)، وقد وجد القادمون من الرحلة العلمية إلى مكة في هذه المدارس خير فرصة لهم في نشر علمهم الذي جاءوا به ، وطريقاً للحصول على مصدر رزق يكفل لهم المعيشة من خلال الفوز بما خصص للمدرسين في هذه المدارس من أوقاف طيبة(٢). وممن تولوا التدريس في المدارس من القادمين من مكة ؛ عبيد بن أحمد بن عبد الله بن مسعود الترخمي (ت٦٩٤هـ) الذي درّس الفقه في مدرسة المسانيف بذي جبلة(٣). عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت٧٤٣هـ) الذي درّس النحو في المدرسة المؤيدية بتعز بأمر من الملك المؤيد نفسه ، بعد أن خصص له كل شهر ثلاثين ألف دينار، كما درّس ابن عبد المجيد الفقه بمدرسة أم عفيف بزبيد(٤). وإبراهيم بن عمر بن علي العلوي (ت٧٥٢هـ) الذي تولى تدريس الحديث بالمدرسة الصلاحية بزبيد(٥). وعمر

---

(١) انظر : إسماعيل الأكوع . **المدارس الإسلامية في اليمن** .

(٢) حول هذه الأوقاف على المدارس ، انظر : الوقفية الغسانية . إسماعيل الأكوع . **المدارس الإسلامية في اليمن** . عبد العزيز السنيدي . **المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية** .

(٣) الجندي . **السلوك** ، ج٢ ، ص٢٢٣ . الأفضل الرسولي ، **العطايا السنية** ، ق٢٩ب .

(٤) الجندي . **السلوك** ، ج٢ ، ص٥٧٧ . بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ق٢ ، ص٢٥٢ .

(٥) الشرجي . **طبقات الخواص** ، ص٥٥ .

ابن أبي بكر بن محمد الحفصي الأزدي (ت٧٥٤هـ) وهو ممن جاور بمكة لمدة سنتين. ودرّس بعد عودته في المدرسة الأسدية بإب والمدرستين الغرابية والمجاهدية بتعز[١]. وأبو بكر بن محمد بن صالح بن محمد الهمداني المعروف بابن الخياط (ت٨١١هـ) الذي قال عنه السخاوي بعد أن ذكر تتلمذه على بعض العلماء في مكة[٢]: "ازداد بين الناس قبولا ، واتسعت حلقته ودائرته ، ولم يلبث أن خطبه الوزير التقي بن معيبد سنة تسع وسبعين لمدرسته فدرس فيها ، وكذا عيّنه الأفضل للمدرسة الشمسية والأشرف للمعتبية في تعز ثم أضاف إليه ابنه الناصر أحمد مدرسة والده". وأحمد ابن محمد الربيعي الحميري المشهور بالشلفي (٨٣٢هـ) الذي درّس بالمدرسة المجاهدية ، بعد استدعاء الملك الناصر له، وقد شهدت المدرسة أثناء تواجده إقبالاً كبيرًا من طلبة العلم، وكان ممن تتلمذ على تقي الدين الفاسي[٣]. ونفيس الدين سليمان بن إبراهيم بن عمر بن علي العلوي (ت٨٢٥هـ) الذي درّس بعد عودته من مكة علم الحديث في المدرسة الصلاحية بزبيد ، كما درّس بتعز في ثلاث مدارس هي: الأفضلية والمجاهدية والأشرفية الجديدة ، وقد ارتحل إليه طلبة العلم للتتلمذ عليه من أصقاع اليمن المختلفة[٤]. وعبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن سالم

---

(١) الأفضل الرسولي . **العطايا السنية** ، ق٣٩ب . الخزرجي. **العقد الفاخر الحسن في طبقات أعيان أهل اليمن** ، مخطوط ، نسخة مصورة بقسم المخطوطات ، المكتبة المركزية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، رقم (٥٧٣١) ميكروفلم ، ق٥٣ أ .

(٢) **الضوء اللامع** ، ج١١ ، ص٧٨ .

(٣) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٢١١ .

(٤) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٢٠٨ . الشرجي . **طبقات الخواص** ، ص٥٥ - ٥٦ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٣ ، ص٢٥٩ . بامخرمة . **تاريخ ثغر عدن** ، ق٢ ، ص٩٥ .

(ت٨٣٩هـ) الذي درّس في المدرسة المعتبية أربع سنوات قبيل وفاته[١]. وعبد الولي ابن محمد بن عبد الله بن حسن الخولاني (ت٨٣٩هـ) الذي مهر بالفقه بعد مجاورته بمكة[٢]، ولما عاد درّس بالمدرسة المؤيدية بتعز[٣]. ويوسف بن أحمد بن عطية الجندي (ت٨٤٠هـ) وهو ممن درّس بالمدرسة الافتخارية في منصورة الدملوة في مخلاف الصلو[٤]. وعبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر الناشري (ت٨٤١هـ) الذي ولي تدريس القراءات بالمؤيدية بتعز ، والفقه بالبدرية اللطيفية بزبيد ، كما درّس في زبيد أيضاً بالمدرسة الصلاحية ، وكان ممن تتلمذ على الفاسي ، وأخذ القراءات بمكة على عدد من مشاهير هذا العلم[٥]. وعلي بن أبي بكر بن علي بن محمد الناشري (ت٨٤٤هـ) وكانت له مكانة طيبة عند الملك الأشرف الثاني (٧٧٨ - ٨٠٣هـ/١٣٧٧ - ١٤٠١م) وقد كلفه بالتدريس في مدرسته في زبيد، وكذلك مدرسته في تعز[٦]. وعثمان بن عمر بن أبي بكر الناشري (ت٨٤٨هـ) الذي درّس في عدد من المدارس اليمنية حينذاك ، ومن هذه المدارس: المدرسة الظاهرية والمدرسة الرشيدية

---

(١) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٦٩ .

(٢) ابن حجر العسقلاني . **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ** .- ط٢ .- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ج٨ ، ص٤٠١ .

(٣) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٥ ، ص٩٦ .

(٤) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص١٦٣ .

ومخلاف الصلّو ، منطقة في بلاد المعافر الواقعة إلى الجنوب والغرب من مدينة تعز ، ويضم مجموعة من المدن والقرى . ويسمى اليوم بلاد الحُجرية . (إبراهيم المقحفي . **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ص٣٨٤ ، ٦٠٧) .

(٥) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٥ ، ص٥٨ .

(٦) الخزرجي . **العقد الفاخر الحسن** ، ق١١ب . نجم الدين بن فهد . **معجم الشيوخ** ، ص١٧٠ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٥ ، ص٢٠٥ .

بتعز. والمدرسة الأسدية والمدرسة الجلالية بمدينة إب . ومحمد بن علي بن أبي بكر الناشري (ولد في سنة ٧٨٥هـ) الذي ولي تدريس الأشرفية بزبيد[١]. وعلي بن محمد بن عيسى بن عمر بن عطيف العدني (ت٨٨٦هـ) الذي درّس الفقه بالمدرسة المنصورية (الوهابية) في زبيد[٢]. وعلي بن سعيد الزبيدي (ت٨٩٣هـ) الذي انتفع به جمع كبير من الطلاب من خلال تدريسه بالمدرستين الفرحانية والمجاهدية بتعز[٣]. وموسى بن محمد بن موسى البكري الزبيدي (عاش في ق ٩هـ) الذي درّس الفقه في المدرسة المنصورية (الوهابية) بزبيد[٤].

ومن القادمين من أسس له مدرسة خاصة ، وشرع في تدريس الطلاب فيها ، بعد أن تكفل بمؤنتهم ، مثل : بطال بن أحمد بن محمد الركبي (ت٦٣٣هـ)[٥].

كما تعاهد التدريس بالمساجد اليمنية مجموعة أخرى من المتأهلين علمياً من خلال الرحلة إلى مكة ، ومن هؤلاء ـ مثلاً ـ أحمد بن محمد بن عبد الله بن سلمة البريهي السكسكي (ت٥٨٦هـ) الذي درّس في أكثر من مسجد في مدينة ذي جبلة[٦]. وأبو العباس بن أبي عمر القزويني (ولد سنة ٦٣٩هـ) الذي درّس بمسجد السماع بعدن[٧]. وأحمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد البريهي (ت٨٢٥هـ) الذي

---

(١) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٨ ، ص١٧٣ .

(٢) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٥ ، ص١٣٤ . إسماعيل الأكوع . **المدارس الإسلامية في اليمن** ، ص٣٢٨ - ٣٣٠ .

(٣) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٢٤٨ .

(٤) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج١٠ ، ص١٩٠ .

(٥) الجندي . **السلوك** ، ج٢ ، ص٤٠١ .

(٦) المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٢٢ .

(٧) المصدر السابق، ج٢ ، ص٤٢٨ .

درّس بمسجد إمام السنة بمدينة إب ثلاثين سنة(١).

ومن الراحلين لطلب العلم إلى مكة من أسهم بعد عودته في نشر العلم والمعرفة من خلال تولي بعض الأعمال التي تساعد على تثقيف العامة وإرشادهم لتعاليم الدين الصحيحة ، وذلك من خلال تولي الخطابة في بعض المساجد ، أو مهمة الفتوى(٢).

وفود منسوبي العلم من مكة إلى اليمن وآثارهم العلمية

أولاً : أصناف الوافدين من مكة ونوعياتهم :

نستطيع من خلال النظرة الشاملة لمن وفدوا من منسوبي العلم من مكة إلى بلاد اليمن خلال حقبة الدراسة أن نقسمهم إلى صنفين رئيسيين: الصنف الأول هم العلماء ، والثاني هم طلاب العلم . وهذان الصنفان كانوا على أربع فئات ؛ الفئة الأولى ، مكيون أصليون ، وهم أولئك الذين ولدوا في مكة ، وتعلموا فيها على يد عدد من العلماء ، ثم رحلوا إلى بلاد اليمن وهو يحملون ما نهلوه من علم في مكة . والفئة الثانية ، النزلاء ، وهم من جاءوا إلى مكة في فترة من مراحل عمرهم ، ليمضوا بقية حياتهم في مكة ؛ منهم من تأهل علمياً قبل استقراره في مكة ، ومنهم من درس أو استكمل تعليمه فيها ، ومنها رحل لبلاد اليمن ، وشارك في دعم الحياة العلمية فيها . والفئة الثالثة : المجاورون وهم: من رغبوا قضاء مدة زمنية محددة في مكة للجوار بالبلد الحرام ، وطلبوا العلم فيه على أيدي بعض العلماء في مكة ، ومنها رحلوا إلى بلاد اليمن . أما الفئة الرابعة ، فهم الوافدون الذين مروا بمكة ،

---

(١) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٩٦ .

(٢) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٣ ، ص١٤٧ ، ج٥ ، ص٩٦ ، ٢٠٠ ، ج١١ ، ص٧٨ . البريهي. **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٦٩ ، ٩٥ ، ١٢٤ ، ١٦٣ ، ٢٤١ .

واستفادوا فيها . ثم رحلوا إلى بلاد اليمن وقدموا خدمات علمية مختلفة . ونظراً لاقتصار بحثنا هذا على تأثير مكة العلمي على اليمن، فإننا سوف نركز في حديثنا هنا على ما قدّم هؤلاء من جهود أثْرَت ميادين الحياة العلمية في اليمن ، وقدمت لها خدمات أسهمت في تطور المجالات الثقافية والفكرية المختلفة فيها ، سواء كانوا من العلماء أو طلبة العلم .

أما نوعياتهم من حيث التخصص العلمي، فإننا نلحظ بالرغم من شمول قائمة الوافدين إلى اليمن على جميع التخصصات العلمية المنتشرة حينذاك ـ تكاثر خروج نوعين من العلماء إلى بلاد اليمن وتزايد عددهم عن غيرهم ، النوع الأول: هم أولئك العلماء المختصون بعلم الفقه وخصوصاً المنتمين منهم للمذهب الشافعي ، ولا شك أن هؤلاء قد وجدوا ترحيباً من السلطات وإقبالاً من منسوبي العلم في اليمن أكثر من غيرهم؛ لشيوع هذا المذهب أكثر من غيره آنذاك هناك ، وكونه مذهب الدول التي تتابعت على السلطة في بلاد اليمن خلال الفترة التي نتحدث عنها ، وهذه الدول هي: الدولة الأيوبية (٥٦٩ - ٦٢٦هـ) والدولة الرسولية (٦٢٦ - ٨٥٨هـ) والدولة الطاهرية (٨٥٨ - ٩٤٥هـ) . أما النوع الآخر ممن تغلبوا في عددهم على غيرهم من الوافدين إلى اليمن فهم: الأدباء ، وقد نال هؤلاء مكانة عظيمة عند السلاطين الحاكمين فيها ، خصوصاً في العصر الرسولي ، وكان الدافع لدخول هؤلاء اليمن وتكاثرهم خلال هذه الحقبة الزمنية ما وجدوه من سوق رائجة لما يحملونه من علم أو يُجيدونه من فن ، حيث قصدوا بلاط السلاطين هناك ونثروا فيه إبداعهم ، وفازوا - في الغالب - بما وفدوا من أجله إلى اليمن(١). وكان لهؤلاء

---

(١) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج١ ، ص٤٠٠ - ٤٠١ . المقريزي ، **درر العقود الفريدة** ، ج١ ، ص٤٠٤ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٤ ، ص٩١ ، ج٧ ، ص٨٢ ، ج٩ ، ص١٣ .

- بلا شك - أثر في إثراء الحياة الأدبية في بلاد اليمن آنذاك .

كما نلحظ من خلال البحث في سير القادمين إلى اليمن من مكة: أنها ظهرت بشكل جلي وتزايدت بشكل ملحوظ خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، في حين كانت قليلة جداً في الفترة السابقة لهما ، وكان لعدد من الأسباب التي أشرنا إليها في بداية الدراسة أثر واضح ؛ سواء في تزايد عدد القادمين لليمن حينذاك ، أو في قلته قبل ذلك التاريخ .

ثانياً: مكانة الوافدين العلمية :

ومما منح الحياة العلمية في اليمن الكثير من الفوائد من هؤلاء القادمين من مكة ، وقدّم خدمات علمية لمنسوبي العلم في هذه البلاد أن معظم من دخلوا إليه من الفئات السابقة كان بعد تأهلهم تأهلاً علمياً كافياً ، بل إن كثيرًا منهم من وصلوا إلى مراحل متقدمة من العلم ، فكانوا قبل وفودهم أئمة وحفاظاً وأعلاماً في عدد من التخصصات ، بعد أن تتلمذوا على عدد كبير من العلماء البارزين ، وألموا بالكثير من العلوم ، وحصلوا من خلال ذلك على عدد من الإجازات العلمية . فمن الوافدين المكيين على سبيل المثال إسحاق بن أبي بكر بن محمد الطبري (ت حوالي سنة ٦٧٠هـ) الذي درس في مكة ، كما رحل في سبيل طلب العلم إلى عدد من الأمصار الإسلامية ، وكان لمكانته العلمية يلقب بخزيمة العصر(١) . ومحب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري (ت٦٩٤هـ) وهو أحد الأئمة الفقهاء المحدثين الحفاظ ، سمع وتفقه على عدد كبير من كبار العلماء ، ودرّس وأفتى وصنّف ، وكان

(١) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٣ ، ص٢٩١ ـ ٢٩٣ . ويبدو أن المقصود بخزيمة ، الإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ، المتوفى سنة ٣١١هـ .

شيخ الشافعية في الحجاز[١]. ومحمد بن محمد بن أحمد الطبري (ت٧٣٠هـ) قاضي مكة ومفتيها ، والذي قال عنه الفاسي[٢]: " كان شيخاً فاضلاً ، فقيها مشهوراً بمعرفة الفقه ، يقصد بالفتوى من بلاد اليمن والحجاز " . ومحمد بن موسى بن علي بن عبد الصمد المراكشي المكي الشافعي (ت٨٢٣هـ) . ولد في مكة ، وكان كثير العناية بالعلم حيث قرأ على جماعة في الفقه والأصول والعربية والمعاني والبيان والعروض والفرائض والحساب ، وبرع فيها ، وهو ممن رحل في طلب العلم إلى بعض الأمصار الإسلامية كالمدينة والشام ومصر، ثم عاد إلى مكة وقد تحصل من الرواية والدراية فيما يتعلق بالحديث وغيره على حظ طائل ، وقد دخل اليمن مرات كثيرة[٣]. وعبد العزيز بن علي بن أحمد النويري (ت٨٢٥هـ) وكان ممن حاز على إجازات علمية بعد أن تتلمذ على عدد من العلماء في مكة وخارجها ، وتأهل للتدريس والفتوى ، وقد دخل اليمن أكثر من مرة[٤]. ومحمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف الذروي المعروف بالمرجاني (ت٨٢٧هـ) وهو ممن عُني بعدد من العلوم ، ولكنه تميز ومهر أكثر بالفقه والعربية وعلومها[٥]، قال السخاوي مبيناً مكانته العلمية[٦]: "وتميز في الفقه ، ومهر في العربية ومتعلقاتها بحيث لم يبق في الحجاز من يدانيه

---

(١) الذهبي . **تذكرة الحفاظ** .- بيروت : دار الكتب العلمية ، (د ، ت) ، ج٤ ، ص١٤٧٤ . السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى** ، ج٨ ، ص١٩ .

(٢) الفاسي . المصدر السابق، ج٢ ، ص٢٧٢ .

(٣) الفاسي. المصدر السابق، ج٢ ، ص٣٦٤ ـ ٣٦٨ .

(٤) الفاسي. **العقد الثمين**، ج٥، ص٤٥٢ ـ ٤٥٤ . السخاوي. **الضوء اللامع**، ج٤، ص٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٥) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج١ ، ص٤٢٩ ـ ٤٣٢ .

(٦) **الضوء اللامع** ، ج٧ ، ص١٨٢ ـ ١٨٣ .

فيها ، مع معرفة بالأدب". وتقي الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد الفاسي (ت٨٣٢هـ) الذي قال عنه السخاوي . بعد أن ذكر جهوده الكبيرة في طلب العلم في مكة وفي عدد كبير من الأمصار الإسلامية ، وعدّد مشايخه الذين أخذ عنهم .[١]: "وكان إماماً علامة فقيهاً حافظاً مفوهاً فصيحاً. له يد طولى في الحديث والتاريخ والفقه " ، وقال البريهي عنه[٢]: " كان إماماً في الحديث محققاً مشاركاً بجميع العلوم، مجمعاً على جلاله، وأضيف إليه القضاء الأكبر على المالكية في مكة المشرفة " ، وكان الفاسي ممن عُني بالتصنيف في عدد من العلوم[٣]. ومحمد بن علي بن محمد بن أبي بكر العبدري الشيبي (ت٨٣٧هـ) الذي اشتغل بالفقه ، وتولى قضاء الشافعية بمكة، كما مهر في الأدب، وفيه صنف بعض الكتب[٤]. ومحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فهد الهاشمي (ت٨٧١هـ). أحد الأئمة الحفاظ. من أبرز علماء مكة ، خصوصاً في علم الفقه. تولى القضاء في مكة . له الكثير من المؤلفات، ورحل إلى اليمن مرتين[٥]. ومحمد بن محمد ابن محمد بن أحمد الطبري (ت٨٩٤هـ). إمام المقام . كان ممن عُني كثيراً بطلب العلم، ورحل في سبيل ذلك للشام ومصر، وتتلمذ خلال ذلك على مشاهير علماء العصر[٦].

(١) **التحفة اللطيفة** ، ج٣ ، ص٤٩٢ .

(٢) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٣٤٩ .

(٣) الفاسي. **العقد الثمين** ، ج١ ، ص٣٤١ ـ ٣٤٧ . نجم الدين ابن فهد. **الدر الكمين** ، ج١ ، ص٧ .

(٤) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٩ ، ص١٣ .

(٥) نجم الدين ابن فهد . **الدر الكمين** ، ج١ ، ص٣٨٥ ـ ٣٩٥ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٩ ، ص١٩١ ـ ١٩٤ .

(٦) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٩ ، ص١٩١ ـ ١٩٤ .

ومن النزلاء الذين قدموا إلى اليمن ممن تبوأ مكانة علمية بارزة : يونس بن يحيى القصار البغدادي (ت٦٦٣هـ)، نزيل مكة، وإمام المقام فيها، وكان من المتميزين بالفقه والحديث. رحل من مكة إلى زبيد ، وأقام فيها مدة[١]. ومحمد بن حجاج بن إبراهيم الحضرمي المعروف بابن مطرف الأشبيلي (ت٧٠٦هـ). نزل مكة في صغره ، ودرس على علمائها ، فبرز في علم الحديث ، ثم خرج لليمن وأفاد وعاد بعد ذلك[٢]. وحسن بن علي السرخسي الأبيوردي (ت٨١٦هـ) وكان ممن رحل في طلب العلم ، ثم نزل مكة ، ومنها غادر إلى بلاد اليمن ، وكان قد فاق أقرانه ، وصنف التصانيف الجيدة المفيدة[٣]. والإمام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) نزيل مكة ، وكان من الأئمة العلماء الأفذاذ ، برز في علوم الحديث والفقه واللغة ، وله الكثير من المصنفات ، وهو ممن تتلمذ على عدد من العلماء في مكة ، ومنها رحل إلى اليمن ، وأفاد هناك كثيراً[٤]. وعبد الملك بن سعيد ابن الحسن الكردي (ت٨٢٤هـ). تتلمذ على عدد من العلماء في بغداد والمدينة وبيت المقدس ، ثم نزل مكة ، ومنها رحل لليمن سنة ٨١٦هـ ، ثم عاد إلى مكة في منتصف السنة التالية[٥]. وعبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عياش الدمشقي (ت٨٥٣هـ) وهو ممن تصدى للقراءات حتى صار شيخ هذا العلم بلا منازع في بلاد الحجاز.

---

(١) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٤ ، ص٣٦٨ ـ ٣٦٩ .

(٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٥٢ ـ ٤٥٤ .

(٣) ابن حجر العسقلاني. **إنباء الغمر**، ج٧ ، ١٣١ ـ ١٣٢ . السخاوي. **الضوء اللامع** ، ج١١ ، ص٢٤ .

(٤) الفاسي. **العقد الثمين** ، ج٢ ، ص٣٩٢ ـ ٤٠٠ .

(٥) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٥ ، ص٥٠٠ ـ ٥٠١ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٥ ، ص٨٤ ـ ٨٥ .

سكن مكة منذ سنة ٨٠٩ هـ ، وخرج منها في بعض السنوات لزيارة أبيه في اليمن(١) . ومحمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي المدني (ت٨٥٩هـ) نزيل مكة . سمع بالمدينة ومصر ومكة ، وبرز في الحديث والفقه وعلوم العربية ، وله الكثير من المصنفات ، وقد دخل بلاد اليمن بعد نزوله مكة أكثر من مرة(٢) .

ومن المجاورين الذين دخلوا اليمن : الحسن بن محمد الصغاني (ت٦٥٠هـ) الذي جاور سنين في مكة ، وكان إماماً فقيهاً محدثاً لغوياً بارزاً ، ومصنفاً متمكناً . رحل إلى اليمن فأفاد فيها كثيراً(٣) . ومحمد بن علي الكاشغري (ت٧٠٥هـ). فقيه متمكن ، وله بعض المصنفات . سافر إلى اليمن بعد أن جاور أربع عشرة سنة(٤) . وأحمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن عياش الدمشقي (ت٨٢٢هـ) أحد الأئمة القراء البارزين في ذلك العصر ، وهو ممن جاور مدة في مكة ، واستفاد فيها ، ثم رحل منه لليمن(٥) . وأبو بكر بن أحمد بن محمد الزكي المصري المعروف بالسعودي (ت٨٤٧هـ) وكان ممن حج وجاور سنة ٨١٤هـ ، وطلب العلم كثيراً حتى تأهل ، سيما في علم القراءات ، وبعد أن جاور سنتين خرج لليمن(٦) . وأحمد بن علي بن محمد بن

---

(١) المقريزي . **درر العقود الفريدة** ، ج٢ ، ص٢٥٣ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٤ ، ص٦١ .

(٢) نجم الدين ابن فهد . **الدر الكمين** ، ج١ ، ص٨٧ - ٩١ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٧ ، ص١٦٣ .

(٣) الكتبي. **فوات الوفيات والذيل عليها** . د. إحسان عباس ٠- بيروت: دار صادر، ١٩٧٣م ، ج١، ص٣٤٢ - ٣٤٤ . الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٤ ، ص١٧٦ - ١٧٩ .

(٤) الجندي . **السلوك** ، ج٢ ، ص١٤٣ - ١٤٤ . الخزرجي . **العقد الفاخر الحسن** ، ق١٤١ ب .

(٥) المقريزي . **درر العقود الفريدة** ، ج١ ، ص٣١٨ . البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٢٠٢ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٢ ، ص٢٠٣ .

(٦) المصدر السابق ، ج١١ ، ص٢٤ .

حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، أحد الأئمة الأعلام المحدثين الحفاظ، الذي جاور في مكة ، وتتلمذ كثيراً على العلماء فيها ، ورحل إلى اليمن فاستفاد وأفاد[(١)]. وعمر بن موسى بن الحسن السراج المخزومي القاهري المعروف بابن الحمصي (ت٨٦١هـ) وهو ممن اشتغل بعلوم القرآن والفقه وعلوم العربية ، وجاور بمكة سنة ٨٢٣هـ ، ومنها رحل لبلاد اليمن [(٢)].

بيّد أن هناك عدداً آخر من طلبة العلم مروا بمكة واستفادوا فيها قبل أن يرحلوا لليمن ليشاركوا بجهودهم في إثراء الحركة العلمية فيها ، بعد أن حصلوا على المؤهلات العلمية الكافية . ومنهم مثلاً: عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادى (ت٧٣٢هـ)، وعلى بن محمد بن أبى بكر بن عبد الله بن مفرج الأنصاري الفوي المعروف بالإسكندري (ت٧٤٠هـ)، و محمد بن محمد بن ميمون الغرناطي الأندلسي (ت٧٩٢هـ) ، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن علي العدناني البرشكي (عاش في ق٩هـ)، ومحمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر المخزومي السكندري المعروف بابن الدماميني (ت٨٢٧هـ) ، ومحمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الشيرازي المعروف بابن الجزري (ت٨٣٢هـ) ، وإبراهيم بن نظام بن منصور الشيرازي (عاش في ق ٩ هـ)[(٣)]. وغيرهم .

---

(١) السخاوي . **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر** ؛ تحقيق حامد عبد المجيد وطه الزيني ٠- مصر : وزارة الأوقاف ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص٣ ، ٨٥ ـ ٨٧ ، ٩٢ ـ ٩٣ .

(٢) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٦ ، ص١٤٠ .

(٣) ابن حجر العسقلاني. **الدرر الكامنة** ، ج٣ ، ص١٣٥ ، ج٤ ، ص١١٩ . البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن**، ص٢٥٢ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢ . السخاوي، **الضوء اللامع**، ج٦ ، ص١٤٠، ج٧، ص١٨٦، ج٩، ص٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

ويأتي هؤلاء العلماء والطلاب إلى اليمن في بعض الأحيان على شكل جماعات، يصطحب فيها العلماء بعضهم ، أو يرافق الطلاب مشايخهم [١]. أما مدة البقاء في بلاد اليمن، فهي مرتبطة بالظروف المحيطة بالوافد؛ إلا أن مما يلاحظ طول فترة بقاء عدد كبير منهم[٢]، بل أن هناك من فضل الاستقرار النهائي في اليمن[٣]. الجدير بالذكر أن ظاهرة تردد العلماء من مكة إلى اليمن كانت منتشرة بشكل كبير[٤]، وهذا ما يزيد بالتأكيد من التأثير العلمي لهؤلاء العلماء ، ويمنح الطلاب اليمنيين مزيداً من الفرص للاستفادة منهم .

ثالثاً : صور تأثير العلماء القادمين من مكة على الحياة العلمية في اليمن .

تطالعنا المصادر بمعلومات وافرة تبيّن مدى حرص العلماء القادمين من مكة على نشر العلم في اليمن عبر قنوات مختلفة ، وفي صور متنوعة ، كما تؤكد هذه المصادر فاعلية هذه المشاركات وضخامة حجمها، وتأثيرها القوي في ميادين الحياة العلمية في اليمن خلال حقبة البحث . وكانت أبرز مشاركاتهم لدعم الحركة العلمية في اليمن آنذاك: القيام بالتدريس، المشاركة في دعم المكتبة اليمنية، إجراء

---

(١) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٣٥٠ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٤ ، ص٢٥٢ ، ج٥ ، ص١٩٣ ، ٢١٩ ، ج١٠ ، ص٧٦ ، ٨٧ .

(٢) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٣ ، ص١٧٢ - ١٧٣ ، ج٤ ، ص١٨٧ - ١٨٨ ، ج٨ ، ص٢١ . السخاوي. **الضوء اللامع** ، ج٢ ، ص١٠٤ ، ٢٤٧ ، ج٣ ، ص١٥٦ ، ج٤ ، ص١٢٦ ، ٣٢٢ ،

(٣) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٢ ، ص٤٠١ - ٤٠٢ ، ج٧ ، ص٤٤٥ . السخاوي . **الضوء اللامع**، ج٣ ، ص١٣٧ ، ج٥ ، ص٢٤٤ ج٧ ، ص١٧٤ .

(٤) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٢ ، ص١٢٣ - ١٢٤ ، ٢٧٩ ، ج٣ ، ص١٠٩ - ١١٠ ، ١٣٠ ، ج٦ ، ٢٥١، ٢٧٤ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٢ ، ص١٠٤ ، ج٨ ، ص٤٠ ، ٧٣ ، ١٦٢ ، ج٩ ، ص١٣٥ ، ٢٨٢ ، ج١٠ ، ص٢٣٩ .

المناقشات والحوارات العلمية مع علماء اليمن . منح الإجازات العلمية للطلاب . ممارسة الفتوى والوعظ والخطابة، وغير ذلك . وهذا ما سوف نتحدث عنه بشيء من التفصيل في السطور التالية .

١- القيام بالتدريس :

تفاعل العلماء القادمون من مكة تفاعلاً إيجابياً ومؤثراً مع التحركات العلمية النشطة التي كانت تعم بلاد اليمن ، وذلك ببث ما يحملون من علوم عبر الحلق والدروس العلمية المنتشرة في المساجد والمدارس اليمنية ، حيث أدرك هؤلاء العلماء - وهم يقومون بهذا الدور - أن التدريس هو محور العملية التعليمية ، والأساس الذي تقوم عليه الحياة العلمية بشتى مجالاتها ، ومحققين في الوقت نفسه رغبات طلاب العلم اليمنيين الذين يتوقون للتتلمذ على هؤلاء العلماء القادمين إلى بلادهم ويتسابقون للنهل من علومهم ومعارفهم الجمة ؛ فضلاً عن تطلع هؤلاء القادمين لإرضاء السلطات اليمنية التي سعت في سبيل إغراء هؤلاء العلماء وجذبهم لدعم الحركة العلمية في بلادهم . وعندما نستعرض جهود هؤلاء العلماء في دعم الحياة العلمية من خلال مشاركتهم في التدريس، نلحظ أن المصادر تنص على مشاركة عدد كبير منهم في التدريس بالمساجد والمدارس الكثيرة القائمة في أصقاع اليمن المختلفة ، كما تفيد المصادر عن مشاركات مماثلة في هذا الجانب لعلماء آخرين لكنها لا ترشدنا إلى المكان الذي تمت فيه .

وكان ممن شارك في دعم الحركة العلمية من القادمين من مكة من خلال التدريس في المدارس اليمنية على سبيل المثال: محمد بن علي الكاشغري (ت٧٠٥هـ) الذي جاور في مكة أربع عشرة سنة، وقد درّس الفقه الشافعي في المدرسة المظفرية

بتعز[١]. وحسن بن علي السرخسي الأبيوردي (ت٨١٦هـ) الذي ترجم له ابن حجر العسقلاني، وذكر تدريسه بمدارس تعز دون تحديد لها بقوله[٢]: " نزيل مكة، كان عالماً بالمعقولات، ثم دخل اليمن واجتمع بالناصر، ففوض إليه تدريس بعض المدارس بتعز ". والإمام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) نزيل مكة، الذي رحل من مكة إلى اليمن، ودرّس في المدرستين المؤيدية والمجاهدية بتعز[٣]. ومحمد بن موسى بن علي بن عبد الصمد المراكشي المكي (ت٨٢٣هـ) الذي قام بتدريس الحديث في المدرسة التاجية بزبيد[٤]. وعبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي النويري (ت٨٢٥هـ)، أحد العلماء البارزين في مكة. دَرَس في مكة، كما رحل لطلب العلم إلى مصر، ثم درّس وأفتى بمكة، وكان عارفاً بالفقه ومشاركاً في غيره. دخل بلاد اليمن أكثر من مرة، منها دخوله سنة ٧٩٩هـ، وكذلك سنة ٨٠٨هـ، ثم في سنة ٨١٣هـ، واستمر فيها حتى سنة ٨٢٣هـ. ودرّس خلال ذلك بالمدرستين المظفرية والسيفية بمدينة تعز. وولي قضاء تعز مراراً[٥]. وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن علي العدناني البرشكي (عاش في ق٩هـ)، أحد العلماء الذين دخلوا اليمن بعد مرورهم بمكة. كما أسلفنا ذكره، يقول عنه البريهي[٦]: " شيخ الإسلام وأوحد الأئمة الأعلام. صدر

(١) الجندي، **السلوك**، ج٢، ص١٤٣ - ١٤٤. الخزرجي. **العقد الفاخر الحسن**، ق١٤١ ب.

(٢) **إنباء الغمر**، ج٧، ص١٣١. وذكر البريهي أن الملك الناصر الرسولي قد فوّض إليه تدريس المدرستين المظفرية والأشرفية، ولكنه رفض ذلك. **طبقات صلحاء اليمن**، ص١٩٩.

(٣) الفاسي. **العقد الثمين**، ج٢، ص٣٩٩.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٨.

(٥) الفاسي. **العقد الثمين**، ج٥، ص٤٥٢ - ٤٥٤. السخاوي. **الضوء اللامع**،ج٤، ص٢٢١ - ٢٢٢.

(٦) **طبقات صلحاء اليمن**، ص٣٤٨.

الفقهاء والمحدثين ، وآجل العلماء المصنفين . وفد إلى اليمن هو والإمام الجزري في سنة ثمان وعشرين وثمانمئة، فأقام بمدينة زبيد مدة ، وأجاز لأهلها. ثم وصل إلى مدينة تعز فاجتمع عنده جماعة من أهلها وقرأوا عليه موطأ الإمام مالك بن أنس، فرأوا لديه من الفوائد ما يجل عن الإحصاء وحضرت ختم القراءة عنده بالمدرسة الأشرفية الجديدة ، فاجتمع خلق كثير ضاقت المدرسة عنهم". ومحمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي (ت٨٥٩هـ)، نزيل مكة، وكان ممن درّس خلال دخوله المتكرر إلى اليمن في المدرسة السيفية بتعز ، ومدرسة مريم بزبيد(١). ومما يبيّن المكانة العلمية للعلماء الوافدين إلى اليمن ، والحرص على الاستفادة منهم على أوسع نطاق ، قيام أحد حكام اليمن ببناء مدرسة خاصة لهذا العالم يمارس فيها نشر علومه ، وخصص لها من الأوقاف الوافرة ما منح له أثناء التدريس فيها ، بل واستمر ذلك بعد تركه لها(٢).

كما درّس عدد آخر من العلماء الوافدين من مكة إلى اليمن في بعض المساجد اليمنية ، ومن هؤلاء مثلاً : محمد بن محمد بن ميمون الغرناطي الأندلسي (ت٧٩٢هـ)، أحد الأئمة العلماء الأفذاذ، سيما في علمي القراءات والنحو . رحل إلى اليمن بعد أن تتلمذ على يد عدد من علماء مكة ، فنشر فيها علمه ، خصوصاً بعد أن رتب في جامع ثعبات في تعز(٣). ومحمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر المخزومي السكندري المعروف بابن الدماميني (ت٨٢٧هـ) وهو ممن مروا بمكة ، ومكثوا فيها وقتاً لطلب العلم ، ثم رحل إلى اليمن، وقصد مدينة زبيد، فدرّس

---

(١) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٧ ، ص١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٢) المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٦٤ .

(٣) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٢٥٢ .

بجامعها حوالي سنة كاملة ، وكان ممن مهر في علوم العربية، وشارك في الفقه[١].

وهناك من العلماء القادمين من أكدت المصادر تدريسه في بلاد اليمن دون أن تحدد المكان الذي التقى فيه بالطلاب، وحيث إن أماكن التعليم ومؤسساته لا تخرج عن المدارس أو المساجد ، وربما بعض الأربطة ، فإننا نجزم - وإن لم تصرح المصادر بذلك - بأن ممارسة هؤلاء للتدريس في اليمن كانت عبر هذه القنوات. وكان من أبرز العلماء الذين قدموا من مكة وأثروا الحياة العلمية عن طريق التدريس في اليمن - سوى من ذكرنا بتصريح المصادر بتدريسهم في المدارس اليمنية علي سبيل المثال: يونس بن يحيى القصار البغدادي (ت٦٦٣هـ)، نزيل مكة ، وهو من المتخصصين في علم الحديث - كما أسلفنا - وقد رحل إلى مدينة زبيد ، وأخذ بها عنه جمع كبير من طلبة العلم[٢]. ومحب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري (ت٦٩٤هـ) شيخ الحجاز . خرج إلى اليمن بعد استدعاء الملك المظفر له ، وفيها استفاد منه الكثير من طلبة العلم ، سيما في علمي الحديث والفقه ، كما درسوا عليه كثيراً من مؤلفاته[٣]. ومحمد بن حجاج بن إبراهيم الحضرمي المعروف بابن مطرف الأشبيلي (ت٧٠٦هـ بمكة)، نزيل مكة . سمع من محمد بن يوسف بن موسى الأزدي الشهير بابن مسدي (ت٦٦٣هـ) الشفا للقاضي عياض والشمائل للترمذي ، وكان ممن خرج لليمن . وتوجه إلى عدن وأقرأ بها العربية ، ولم يزل مقيماً بها إلى سنة ٦٦٩هـ، حيث عاد إلى مكة ، وأقام بها حتى مات[٤]. ومحمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف

---

(١) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٧ ، ص١٨٥ .

(٢) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٤ ، ص٣٦٨ - ٣٦٩ .

(٣) الجندي . **السلوك** ، ج٢ ، ص٧٩ . الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٣ ، ص٦١ - ٦٧ .

(٤) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج١ ، ص٤٥٢ - ٤٥٤ .

الذروي المصري (ت٨٢٠هـ) قدم مكة بعد سنة ٧٧٠هـ ، وتتلمذ على عدد من العلماء فيها ، ثم خرج إلى اليمن . واستوطن زبيد ، وفيها أفاد الطلاب في علم الحديث[١]. وأحمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن عياش الدمشقي (ت٨٢٢هـ) أحد الأئمة القراء البارزين ، أفاد الطلاب في اليمن في علم القراءات بعد أن استقر فيها، وذلك بعد مجاورة طويلة له في مكة[٢]. وتقي الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد الفاسي (ت٨٣٢هـ). وفد أكثر من مرة لبلاد اليمن كان آخرها مع الإمام الجزري سنة ٨٢٨هـ، واستفاد من علمه الغزير خلال تردده إلى اليمن كثير من طلبة العلم في أكثر من مدينة يمنية[٣]. ومحمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الشيرازي المعروف بابن الجزري (ت٨٣٣هـ) الذي خرج من مكة إلى اليمن سنة ٨٢٨هـ وفيها درّس الحديث[٤]، كما تتلمذ عليه بعض أبناء اليمن في علم القراءات[٥]، وقد بيّن البريهي مدى إقبال أهل اليمن عليه عند وصوله إلى مدينة تعز فقال[٦]: "فلما وصل إليها اجتمع عنده فقهاء البلد وعلماؤها وقرأوا عليه، واجتمع بمجلسه من نسخ الحصن الحصين من مصنفاته نحو مئة وخمسين نسخة ، فانشرح صدره، وحمد الله

---

(١) الفاسي. **العقد الثمين**، ج١، ص٤٢٨ -٤٢٩ . السخاوي . **الضوء اللامع**، ج٧، ص١٨١ - ١٨٢.

(٢) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٢ ، ص٢٠٣ .

(٣) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٢٣٣ ، ٣٤٩ - ٣٥٠ . نجم الدين ابن فهد . **الدر الكمين**، ج١ ، ص٦ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٧ ص١٨ .

(٤) نجم الدين ابن فهد . **معجم الشيوخ** ، ص١٠٨ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٩ ، ص٢٥٧ .

(٥) ابن الجزري . **غاية النهاية في طبقات القراء** ؛ عني بنشره برجستراسر ٠- ط٣ ٠- بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ج١ ، ص١٠٣ . نجم الدين ابن فهد . **معجم الشيوخ** ، ص٨٤ ، ٢٠٣ .

(٦) **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٣٤٧ .

تعالى على ذلك ، وقرأوا عليه صحيح الإمام مسلم بن الحجاج وكتابه النشر في القراءات العشر وبعض كتاب البخاري وكتباً غير ذلك في الحديث" . ومحمد بن عمر بن محمد بن مسعود الغزي المعروف بابن المغربي. (ولد سنة ٨٢٠هـ) . دخل بلاد اليمن بعد مجاورته في مكة وقراءته على بعض علمائها، وفي اليمن أخذ عنه طلبة العلم ، خصوصاً في علم القراءات[١]. وأبو بكر بن أحمد بن محمد الزكي المصري المعروف بالسعودي (ت٨٤٧هـ) الذي أفاد الطلاب في علم القراءات في مدينة تعز ، بعد أن دخل اليمن عقب مجاورته في مكة[٢].

٢- المشاركة في دعم المكتبة اليمنية :

لقد تعددّت فوائد القادمين من مكة إلى اليمن من المنتمين للعلم ميدان التدريس وتعليم أبناء اليمن؛ لتصل إلى دعم المكتبة اليمنية وتزويدها بالجديد والمفيد؛ فضلاً عن النادر من الكتب التي تفتقدها الساحة العلمية ، ويحتاجها طلبة العلم في اليمن . وقد جاء دعم هؤلاء القادمين للمكتبة اليمنية في أشكال متباينة وصور مختلفة ؛ أفادت كثيراً ميادين الحياة العلمية في اليمن وأثرت جوانبها المختلفة . وسوف نلقي الضوء بشكل عام على ملامح هذه المشاركات؛ لنصل من خلال ذلك إلى حجم التأثير المكي في هذا الجانب العلمي المهم .

لقد شارك العلماء الوافدون في نشر الكتب في الأوساط العلمية اليمنية عن طريق إملاء بعض الكتب النادرة على الطلاب والسماح لهم بنسخها وتداولها ، ومن ذلك ما قام به مثلاً محمد بن محمد بن أحمد الطبري (ت٧٣٠هـ) قاضي مكة

---

(١) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٨ ، ص٢٦٢ .

(٢) المصدر السابق ، ج١١ ، ص٢٤ .

ومفتيها الذي خرج بصحبة محب الدين الطبري إلى اليمن، فلما وصلوا إليها طُلبت منهم نسخة من كتاب المحرر لندرة وجوده هناك ، فأملاه عليهم هذا القاضي من حفظه ، ففرح به الطلاب . وأصبحت نسخه متداولة فيما بينهم[١]. وعندما ألف المؤرخ تقي الدين الفاسي (ت٨٣٢هـ) كتابه: " تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام " كانت اليمن من أوائل البلدان التي انتشر هذا الكتاب فيها ، بعد أن قام المؤلف بإهداء نسخة لطلبة العلم في بلاد اليمن[٢]. أما ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) فكان أول من انتشر عنه كتاب " الحصن الحصين " وهو في الأدعية للإمام الجزري. يقول السخاوي موضحاً ذلك بعد أن ذكر نسخ ابن حجر لهذا الكتاب وتوزيعه في اليمن[٣]: " فحصل للكتاب في البلاد اليمنية بسبب ذلك رواج عظيم، وتنافسوا في تحصيله وروايته، وذلك قبل دخول مصنفه إليهم" .

وحيث برع في التصنيف عدد من القادمين من مكة إلى بلاد اليمن حينذاك . كما ألمحنا إلى ذلك في حديث سابق . فقد كان تواجدهم فيها فرصة اهتبلها طلبة العلم اليمنيون لدراسة مصنفاتهم عليهم ونسخها ، وبالتالي فقد انتشرت مصنفات هؤلاء العلماء في أوساط المتعلمين هناك ، وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من المكتبة اليمنية حينذاك[٤].

من جانب آخر فقد أتحف بعض العلماء المكيين المكتبة اليمنية بمصنفات أخرى ألفت خصيصاً لأحد ملوك اليمن ، سيما حكام بني رسول الذين شجعوا على

(١) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٢ ، ص٢٧٣ .

(٢) نجم الدين ابن فهد . **الدر الكمين** ، ج١ ، ص٧ .

(٣) **الجواهر والدرر** ، ج١ ، ص٨٨ .

(٤) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٣ ، ص٦٥ . ابن الجزري . **غاية النهاية** ، ج١ ، ص١٠٣ .

حركة التأليف في بلادهم[١]، وكان ممن ألف لهؤلاء الحكام: محب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري (ت٦٩٤هـ) الذي ألف بمقتضى أمر الملك المظفر الرسولي (٦٤٧ ـ ٦٩٤هـ) كتاب" الطراز المُذْهَبْ المُحَبَّر في تلخيص المذهب"[٢]. والإمام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، نزيل مكة ، حيث ألف كتاباً في الأحاديث الضعيفة للسلطان الناصر الرسولي (٨٠٣ ـ ٨٢٧هـ)[٣]. كما ألف محمد بن علي بن محمد بن أبي بكر العبدري الشيبي (ت٨٣٧هـ) للملك الناصر أيضاً كتاب " تمثال الأمثال "، ويقع في مجلدين[٤].

ومن القادمين من مكة من ينقل مكتبته الخاصة إلى اليمن ، كما فعل محمد ابن موسى بن علي بن عبد الصمد المراكشي المكي (ت٨٢٣هـ) الذي نقل مكتبته إلى مدينة زبيد بعد أن استقر فيها ، وكان المراكشي ممن شُهر بكثرة نسخ الكتب بدقة متناهية وضبط فائق ، كما عُرف بالاشتغال بالكثير من العلوم ، ولعل ما يزيد من فرص الاستفادة من محتويات مكتبة هذا الوافد أنها كانت مفتوحة للراغبين في الاطلاع عليها من طلبة العلم[٥]. وكان عدد من القادمين إلى اليمن ممن عرفوا بوجود مكتبات خاصة لديهم ، تحوي مجموعة من الكتب التي جمعوها بالنسخ أو

---

(١) علي بن علي بن حسين أحمد . **الحياة العلمية في تعز** ، ص١٤١ ـ ١٥١ .

(٢) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٣ ، ص٦٤ .

(٣) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج٢ ، ص٣٩٨ .

(٤) نجم الدين ابن فهد . **الدر الكمين** ، ج١ ، ص٢١٨ . ابن قاضي شهبة . **طبقات الشافعية**؛ تحقيق عبد العليم خان -٠ ط١ -٠ بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، ج٤ ، ص١٠٦ .

(٥) الفاسي . العقد الثمين ، ج٢ ، ص٣٦٤ ـ ٣٦٨ . تقي الدين ابن فهد . **لحظ الألحاظ** ، ص٢٧٤ـ٢٧٥ .

الشراء، وبالرغم من أن المصادر التي بين أيدينا لا تشير إلى نقل هؤلاء العلماء كتبهم إلى اليمن كما هي الحال بالنسبة للمراكشي؛ إلا أن المعروف عن كثير من العلماء المسلمين اصطحاب بعض الكتب المهمة معهم أثناء رحلاتهم بين الأقاليم الإسلامية، ليستفيدوا منها في التدريس[١]. وبالتالي فإن هؤلاء العلماء لن يبخلوا بها على من يرغب الاطلاع عليها أو نسخها من الطلاب اليمنيين. وممن عُرف من الوافدين بامتلاك مكتبة خاصة: عبد الملك بن سعيد بن الحسن الكردي (ت٨٢٤هـ)[٢]. ومحمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف الذروي المكي المعروف بالمرجاني (ت٨٢٧هـ)[٣]. وتقي الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد الفاسي (ت٨٣٢هـ)[٤]. ومحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فهد الهاشمي (ت٨٧١هـ)[٥]. وغيرهم .

وقد قام بعض الوافدين من مكة بمهمة جلب الكتب للمكتبات الموجودة في اليمن ، حيث يسعى سلاطينها في تزويد مكتبات المدارس والمساجد في بلادهم بكل جديد ومفيد ، وممن قام بهذه المهمة ؛ شرف الدين الأربلي ، قال عنه الجندي[٦]: "كان كثير الحج واجتلاب الكتب لخزانة المظفر" . ومحمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف الذروي المكي المعروف بالمرجاني (ت٨٢٧هـ) الذي كلفه السلطان الرسولي

---

(١) ابن قاضي شهبة . **طبقات الشافعية** . ج٤ ، ص٦٤ .

(٢) الفاسي. **العقد الثمين**، ج٥، ص٥٠٠ ـ ٥٠١ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٥، ص٨٤ ـ ٨٥ .

(٣) الفاسي . **العقد الثمين** . ج١ ، ص٤٢٩ ـ ٤٣٢ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٧ ، ص١٨٣ .

(٤) نجم الدين ابن فهد، **الدر الكمين**، ج١، ص٩ . السخاوي. **الضوء اللامع**، ج٧، ص١٨ ـ ١٩ .

(٥) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٩ ، ص٢٨٢ .

(٦) **السلوك** ، ج٢ ، ص٥٦٩ .

الأشرف الثاني (٧٧٨-٨٠٣هـ) في جلب الكتب له ، وكان جيد الخط وسريع الكتابة[١].

وحيث كان الكثير من القادمين من مكة لبلاد اليمن ممن عرفوا بممارسة نسخ الكتب؛ سواء لأنفسهم أو للاسترزاق من وراء ذلك[٢]، فإننا لا نشك في مشاركة هؤلاء العلماء والطلاب الوافدين في إثراء المكتبة اليمنية وتحريك أسواق الكتب هناك من خلال ما يقومون به من تأمين للكتب التي تجد إقبالاً لدى طلبة العلم في اليمن ، وربما حمل هؤلاء معهم إلى اليمن من الكتب المنتشرة في أسواق مكة ، لبيعها وتسويقها على طلبة العلم في اليمن . بل أن من الوافدين من خرج رغبة في ممارسة هذه المهنة في اليمن للاسترزاق من خلالها ، مثل: محمد بن محمد بن محمد القرشي المخزومي السكندري (ت٨١٧هـ) الذي حدث وجاور بمكة ، ثم خرج بعد ذلك إلى مدينة زبيد ومارس مهنة النسخ للسلطان الرسولي الأشرف الثاني (٧٧٨-٨٠٣هـ)، حتى تحسنت أحواله المادية ، فعاد إلى مكة[٣].

٣ - آثار علمية أخرى .

وهناك آثار علمية أخرى للوافدين إلى اليمن من مكة ، كان لها مردودها الإيجابي على ميادين الحياة العلمية حينذاك، ومن ذلك: الاجتماعات بين العلماء القادمين وزملائهم من اليمنيين، وإجراء بعض المناقشات، أو حل بعض المسائل

---

(١) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج١ ، ص ٤٢٩ - ٤٣٢ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٧ ، ص١٨٣ .

(٢) انظر - على سبيل المثال : الذهبي . **تاريخ الإسلام** ، ج٥٢ ، ص١٩٧ . ابن حجر العسقلاني. **الدرر الكامنة** ، ج٤ ، ص١١٨ . تقي الدين ابن فهد . **لحظ الألحاظ** ، ص٢٧٤ . السخاوي . **الضوء اللامع** ،ج٤ ، ص١٢٦ ، ٣٢٣ ، ج٧ ، ص٦٠ ، ١٤٤ ، ١٦٤ ، ج٩ ، ص٥٨ ، ٢٨٢ ، ج١١ ، ص٧٤ .

(٣) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج١٠ ، ص١٤ .

العلمية ، أو الأخذ عن بعضهم البعض[١]. كما استفاد منهم طلبة العلم في اليمن من خلال منحهم لهؤلاء الطلاب الإجازات العلمية التي تخولهم بالرواية والفتوى والتدريس ، سواء كان ذلك لمروياتهم من كتب العلماء المتقدمين ، أو لمصنفاتهم[٢]. من جانب آخر فقد أسدى هؤلاء القادمون منافع مختلفة أسهمت في دفع عجلة التعليم والتثقيف في بلاد اليمن؛ وذلك من خلال ممارستهم للفتوى والوعظ والخطابة في بعض المواقع المختلفة في بلاد اليمن[٣]؛ فضلاً عن تدريس بعض الوافدين المكيين بمراكز دأب بعض حكام بني رسول على إنشائها في مدينة تعز؛ لتصبح بمثابة مراكز علمية واجتماعية وعُرفت باسم دار الضيف[٤]، ومن هؤلاء مثلاً : عبد العزيز بن علي بن أحمد النويري (ت٨٢٥هـ) الذي درّس بإحدى هذه الدور بمدينة تعز[٥].

* * *

(١) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ٢٠٣ ، ٣٤٠ . السخاوي . **الضوء اللامع** ،ج٣ ، ص١٥٦ ، ج٤، ص٢٢٢ ، ج٧ ، ص١٦٣ . **الجواهر والدرر** ، ج١ ، ص٨٨ ـ ٨٩ .

(٢) ابن الجزري . **غاية النهاية** ، ج١ ، ص١٠٣ . نجم الدين ابن فهد . **معجم الشيوخ** ، ص١٩٤ . البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٣٤٩ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٦ ، ص١٤٠ .

(٣) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٣٥٢ . السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج٨ ، ص٢٦٦ .

(٤) لمزيد من المعلومات عن دور الضيف بتعز ، وأثرها في الحياة العلمية في اليمن ، انظر: (علي ابن علي بن حسين أحمد . **الحياة العلمية في تعز** ، ص٣٠٠ ـ ٣٠١) .

(٥) البريهي . **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٣٤٣ .

الخاتمة :

لقد خرجنا من خلال دراسة أثر مكة على الحياة العلمية في بلاد اليمن خلال العصرين الأيوبي والمملوكي بعدة نتائج، وسوف نجمل أهمها في النقاط التالية :

- أن الرحلات العلمية من بلاد اليمن إلى مكة قد تزايدت تزايداً ملحوظاً خلال حقبة الدراسة ، وكانت في المرحلة المتأخرة منها أكثر منها في بدايتها .
- منحت الرحلة إلى مكة والتتلمذ على علمائها الطالب اليمني مكانة علمية متميزة بعد رجوعه إلى بلاد اليمن ، بعد أن ارتفع رصيده العلمي ، وتوسعت مداركه الثقافية .
- لاحظنا مدى حرص أبناء اليمن على طلب العلم في مكة، واتخاذهم طرق وأساليب شتى أوصلتهم لكثير من الثروات العلمية التي يكتنزها الكثير من العلماء في مكة.
- وقد رأينا اكتفاء معظم الطلاب اليمنيين بالرحلة في سبيل طلب العلم إلى مكة ، وربما المدينة ، وعدم مواصلة رحلتهم لأمصار إسلامية أخرى ، حيث وجدوا ضالتهم التي ينشدونها في مكة .
- اتضح أن للوضع الجغرافي المتمثل في قرب اليمن من مكة ، وكذلك للارتباط الحضاري آنذاك أثر كبير في زيادة التأثير العلمي لمكة على بلاد اليمن .
- كان للازدهار التجاري والنشاط الاقتصادي الذي عمّ تلك الحقبة التاريخية ـ سواء في مكة أو اليمن ـ أثر واضح في تنشيط الحركة العلمية والتواصل العلمي بين مكة واليمن حينذاك .

- أن مكة كانت نقطة عبور يمر بها طلبة العلم من الأمصار الإسلامية فيتزودون بها من العلوم ، ومنها يخرجون إلى بلاد اليمن ، فيثرون الحياة العلمية هناك .
- تطور بعض العلوم في بلاد اليمن جاء نتيجة لارتباطها بمكة ، سواء عن طريق اليمنيين الوافدين أو العلماء القادمين من مكة إلى اليمن .
- أن حب حكام اليمن للعلم وحرصهم على تطور التعليم في بلادهم وإغراء العلماء المبرزين للقدوم إلى اليمن كان سبباً في دخول الكثير من العلماء من مكة إلى اليمن .
- أن لمكة أثرًا كبيرًا في تطور المكتبة اليمنية إبان الحقبة التاريخية التي عُنيت بها الدراسة ، حيث كانت مكة مصدراً ثراً لتزويد اليمن بالكتب النافعة ؛ سواء عن طريق أبنائها القادمين إلى مكة ، أو بواسطة طلبة العلم الوافدين لليمن .
- كثرة من تتلمذ من الطلاب اليمنيين على الإمام السخاوي في أثناء مجاورته في مكة خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري .

إلى غير ذلك من النتائج التي سيجدها المطلع في ثنايا هذه الدراسة ، والتي نأمل أن نكون قد وفقنا في الوصول من خلالها للهدف المنشود ، وأن تكون إضافة جديدة ومفيدة لمكتبتنا العربية الإسلامية . والحمد لله أولاً وآخراً . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر .

- ابن الأثير ، عز الدين علي بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) . **الكامل في التاريخ** ·- ط٤ ·- بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- الأفضل الرسولي، الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد (ت٧٧٨هـ/١٣٧٧م). **العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية**. مخطوط ، دار الكتب المصرية ، رقم (٣٥١) تاريخ .

- بامخرمة ، عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م) . **تاريخ ثغر عدن** ·- ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٣٦م .

- البريهي ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن (من علماء القرن التاسع الهجري). **طبقات صلحاء اليمن ، المعروف بـ (تاريخ البريهي)** ؛ تحقيق عبد الله الحبشي·- ط١ ·- صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

- ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) . **رحلة ابن بطوطة** ·- بيروت : دار بيروت ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

- ابن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م). **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي** ؛ تحقيق محمد محمد أمين ·- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م ،

- ـــــــ . **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** - القاهرة : نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

- ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي (ت ٨٣٣هـ/١٤٣٠م).

غاية النهاية في طبقات القراء: عني بنشره برجستراسر .- ط٣ .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

- الجزيري ، عبد القادر بن محمد (من أهل ق ١٠هـ/١٦م). **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة** ؛ تحقيق حمد الجاسر .- ط١ .- الرياض: دار اليمامة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- الجندي ، محمد بن يوسف بن يعقوب السكسكي (ت٧٣٤هـ/١٣٣٣م). **السلوك في طبقات العلماء والملوك** ؛ تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي.- صنعاء : وزارة الإعلام والثقافة ، ج١ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣هـ ، ج٢ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .
- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله الرومي ، الشهير بحاجي خليفة (١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م). **كشف الظنون** . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .
- الحبيشي ، عبد الرحمن بن محمد (ت٧٨٢هـ). **تاريخ وصاب** ، **المسمى (الاعتبار في التواريخ والآثار)** ؛ تحقيق عبد الله الحبشي .- ط١ .- صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٧٩م .
- ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م). **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ** .- ط٢ .- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ـــــــــ . **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** .- بيروت : دار الجيل، (د. ت).
- الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) . **معجم البلدان**.- بيروت : دار صادر ودار بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- الخزرجي، علي بن الحسن بن أبي بكر (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م). **العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن** . مخطوط ، نسخة مصورة بقسم المخطوطات ، المكتبة المركزية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، رقم (٥٧٣١) ميكروفلم .

- ـــــــ . **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية** ؛ تحقيق محمد بسيوني عسل .- مصر: مطبعة الهلال ، ١٣٢٩هـ/١٩١١م .
- ابن الديبع ، عبد الرحمن بن علي الشيباني (ت٩٤٤هـ/١٥٣٧م). **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد** ؛ تحقيق عبد الله الحبشي .- صنعاء : مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ١٩٧٩م.
- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**؛ تحقيق عمر عبد السلام تدمري.- ط١ .- بيروت : دار الكتاب العربي ، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ـــــــ . **تذكرة الحفاظ** .- بيروت : دار الكتب العلمية ، (د ، ت) .
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن تمام (ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م). **طبقات الشافعية الكبرى**؛ تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو .- ط٢ .- دار هجر، ١٤١٣هـ.
- السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م). **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** ؛ تحقيق فرانز روزنثال ؛ ترجم التعليقات المقدمة ، صالح أحمد العلي . بيروت : دار الكتب العلمية ، (د . ت) .
- ـــــــ . **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**؛ عني بنشره أسعد طرابزوني الحسيني ١٣٩٩-١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- ـــــــ . **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر** ؛ تحقيق حامد عبد المجيد وطه الزيني .- مصر : وزارة الأوقاف ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- ـــــــ . **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** .- بيروت: دار مكتبة الحياة، (د . ت).
- ابن سمرة الجعدي، عمر بن علي (ت بعد سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م) . **طبقات فقهاء اليمن** ؛ تحقيق فؤاد سيد .- بيروت : دار القلم ، (د . ت) .

- السنجاري ، علي بن تاج الدين المكي (ت ١١٢٥هـ/١٧١٣م). **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**؛ تحقيق جميل عبد الله المصري وآخرين .- ط١ .- مكة المكرمة : مركز إحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .
- الشرجي ، أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف (ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م). **طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص** .- ط١ .- صنعاء : الدار اليمنية ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م) . **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث** .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- العصامي ، عبد الملك بن حسين (ت١١٠١هـ/١٦٩٠م). **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي** .- القاهرة : المطبعة السلفية ، (د . ت) .
- ابن العماد الحنبلي ، أبو الفتح عبد الحي بن العماد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ؛ تحقيق لجنة إحياء التراث العربي بدار الآفاق الجديدة .- بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة ، (د . ت) .
- العيدروسي ، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت١٠٣٨هـ) . **النور السافر عن أخبار القرن العاشر** .- بغداد : المكتبة العربية ، ١٩٣٤م .
- الفاسي ، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م). **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** ؛ تحقيق عمر عبد السلام تدمري .- ط١ .- بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- ـــــــــ . **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**؛ تحقيق ، فؤاد سيد .- ط٢ .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- ابن فهد ، عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد المكي (ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م). **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام** ؛ تحقيق فهيم محمد شلتوت .- ط١ .-

مكة المكرمة : مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

- ابن فهد، تقي الدين محمد بن محمد بن فهد (ت ٨٧١هـ/١٤٦٦م). **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ " ملحق بذيل تذكرة الحفاظ للذهبي"** .- بيروت: دار إحياء التراث العربي (د . ت) .
- ابن فهد ، نجم الدين عمر بن فهد بن محمد المكي (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م) . **إتحاف الورى بأخبار أم القرى** ؛ تحقيق فهيم محمد شلتوت .- ط١ .- مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
- ــــــــ . **الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**؛ تحقيق عبد الملك ابن عبد الله ابن دهيش .- ط١ .- بيروت : دار خضر ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .
- ــــــــ . **معجم الشيوخ** ؛ تحقيق وتقديم محمد الزاهي؛ مراجعة حمد الجاسر .- الرياض: دار اليمامة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت ٨٥١هـ/١٤٤٨م). **طبقات الشافعية**؛ تحقيق عبد العليم خان .- ط١ .- بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- الكتبي ، محمد بن شاكر (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٧م) . **فوات الوفيات والذيل عليها**؛ تحقيق إحسان عباس .- بيروت : دار صادر ، ١٩٧٣م.
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) . **البداية والنهاية**؛ تحقيق أحمد أبو ملحم ورفاقه .- ط١ .- بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ابن المجاور .... بن محمد بن مسعود البغدادي النيسابوري (ت بعد ٦٢٦هـ/ ١١٢٩م). **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز "تاريخ المستبصر"** ؛ تحقيق أوسكار لوفغرين.- ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٣٦م .

- المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م) . **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**: تحقيق محمود الحليلي ٠- ط١ ٠- بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ــــــــــ . **الوقفية الغسانية** ، مخطوط بدائرة الأوقاف بمدينة تعز ، رقم (٦) .

ثانياً : المراجع :

- إبراهيم القادري بوتشيش . **العلماء المجاورون بمكة : نموذج للملتقيات العلمية بمكة عاصمة الثقافة الإسلامية في العصر الوسيط** . بحث قدم ضمن ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ . وطبعت أبحاث الندوة بعنوان : مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية (بحوث ودراسات) ؛ إعداد أبو بكر أحمد باقادر ٠- ط١ ٠- الرياض ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
- إبراهيم ، المقحفي . **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ٠- ط٣ ٠- صنعاء : دار الكلمة ، ١٩٨٨م .
- أحمد حسين شرف الدين . **تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن** ٠- ط٢ ٠- الرياض: مطابع الرياض ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- إسماعيل بن علي الأكوع . **المدارس الإسلامية في اليمن** ٠- ط٢ ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة ٠- صنعاء : مكتبة الجيل الجديد ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- أيمن فؤاد سيد . **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري** ٠- ط١ ٠- الدار المصرية اللبنانية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- خالد عبد المحسن الجابري . **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي**٠- جدة : مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ١٤٢٦هـ .

- ريتشارد مورتيل. **الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي** .- ط١.- الرياض : عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- عبد العزيز بن راشد السنيدي. **المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية**.- ط١ .- الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ــــــــــ . **الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي** .-ط١ .- الطائف : نادي الطائف الأدبي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .
- عبد الله بن محمد الحبشي. **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن**.- بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٠٨هـ .
- عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان **الحرم الشريف الجامع والجامعة** .- مكة المكرمة: نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤١٧هـ.
- علي بن علي حسين أحمد. **الحياة العلمية في تعز في عصر بني رسول** .- رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٤هـ .
- ــــــــــ . **النشاط التجاري في اليمن منذ مطلع القرن الثالث الهجري حتى نهاية العصر الأيوبي** . رسالة دكتوراه ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ .
- فواز بن علي الدهاس. المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي . **مجلة الجمعية التاريخية السعودية** ، ع٢ ، س١ ، ربيع الأول ١٤٢١هـ .
- محمد علي مسفر عسيري. **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي** .- ط١ .- جدة : دار المدني، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- محمود قمبر . الرحلة العلمية وقيمتها التربوية . **حولية كلية التربية**.- جامعة قطر س٦ ، ع٦ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .